
الإنسان الجديد

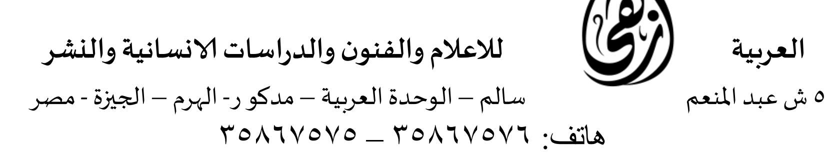
الإنسان الجديد (رواية)

بيرل باك

ترجمة: بهجت عبد الفتاح

مراجعة: رؤوف عبد المنعم

الطبعة: ٢٠٢٣



http://www.azhabooks.com

E-mail: info@azhabooks.com

بطاقة فهرسة أثناء النشر

باك، بيرل - ترجمة: بهجت عبد الفتاح، - مراجعة: رؤوف عبد المنعم - الإنسان الجديد (رواية)

– الجيزة – أزهى، ٢٠٢٢،

٢٠١ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ١ – ٧ – ٨٦٣٨٢ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع: ٢٥١٠٥ / ٢٠٢٢

بيرل باك

الإنسان الجديد

رواية

ترجمة

بهجت عبد الفتاح

مراجعة

رؤوف عبد المنعم

الفصل الأول



كان ذلك في عام ١٩٤٠، وكانت إنجلترا قد أعلنت الحرب على ألمانيا في سبتمبر عام ١٩٣٩، ولكن أمريكا كانت ما تزال في مأمن من كل خطر.

كان بيرتون هول يقول فيما بينه وبين نفسه: إننا ما زلنا في مأمن، وكان الوقت ربيعًا، حتى في كاليفورنيا؛ حيث كانت بوادر الخضرة الجديدة، وبراعم الأزهار أقل وضوحًا منها في حديقته الصغيرة في ضواحي شيكاغو، التي تركها منذ يومين ليأتي إلى هنا بالطائرة. وكان ركوبه للطائرة دائمًا ما يسبب جدلًا بينه وبين زوجته مولي، فكانت تزمجر وهي تقول له:

– إذا كنت مصممًا على أن تموت، فكم أود أن تختار طريقة للموت لا تتركك إربًا. إني أريد أن أجد شيئًا أواريه التراب، وأقوم بزيارته بين الحين والآخر. وكان بيرتون يبتسم في غيظ وهو يقول لها:

– شيئًا تزورينه؟ إنك لم تشاهدي بعد نصف ما سوف أفعله إذا دخلنا هذه الحرب.

ثم طبع على خدها الممتلئ قبلة، واستدار ذاهبًا إلى المطار في عربته القديمة.

وبعد ثمان وأربعين ساعة.. كان يتناول عشاءه في نادي الكلية في بيركلي مع وليم طومبسون، أحد زملائه العلماء وبدأ حديثه معه قائلًا:

– لقد أبلغت زوجتي مولي – منذ ثلاثة شهور – بأننا قد ندخل هذه الحرب في شهر أبريل الماضي، وإني أشكر الله أني كنت مخطئًا، وآمل أن أشكره دائمًا عندما أقع في مثل هذا الخطأ.

وعبر المائدة التي كانا يجلسان إليها، كانت شمس الظهيرة تسطع من خلال أذني طومبسون، الرفيعتين الكبيرتين، حتى أنهما بدتا مثل فراشات قرمزية اللون على جانبي وجهه الشاحب الصغير.

وسأله بيرتون هول:

– ألم تر في حياتك فراشات قرمزية اللون؟

وتطلع إليه طومبسون مندهشًا، وقال: – أتقول فراشات؟

فقال بيرتون هول:

– وقرمزية اللون أيضًا.

وأخذ طومبسون يفكر في الأمر باهتمام، في الوقت الذي كانت فيه السكين والشوكة ترقدان فوق قطعة اللحم المقطعة، وقال:

– لم أرها أبدًا قرمزية اللون..

فقال بيرتون هول فجأة:

– وأنا كذلك لم أرها قرمزية اللون..

ثم أخذ يقطع بسكينه قطعة سميكة من اللحم المحمر، وقال:

– لنعد إلى ما كنا نتحدث عنه..

كانا يتحدثان عن الحرب التي يستعر أوارها في أوروبا وآسيا، وكانا يتحدثان أيضًا عن زملائهما من العلماء الذين يهربون من ألمانيا، وبولندا، والنمسا، والمجر، ليلجئوا إلى فرنسا في بادئ الأمر.. وبعد ذلك إلى إنجلترا، والآن يتدفقون إلى الولايات المتحدة حاملين معهم قصصهم المخيفة الرهيبة.

وتساءل طومسون. وكان قد فرغ من التهام آخر قطعة من اللحم في طبقه، ووضع الشوكة والسكين جنبًا إلى جنب:

– هل تعتقد أننا نستطيع أن نكون بمنأى عن هذه الحرب؟

فقال بيرتون هول:

– إننا لا نستطيع أن نتجنبها.

فرد عليه طومبسون قائلًا:

– أجل.

ولم يكشف صوته المضطرب عن أي اهتمام غير الضيق. ثم واصل كلامه بنفس الطريقة قائلًا:

"إن النازيين يعملون حاليًا في الطاقة الذرية، ولديهم نظرية فصل اليورانيوم ٢٣٥. وقد يعني هذا أنهم ينوون عمل قنبلة ذرية، بالرغم من أن فيرمي لا يعتقد أنهم يستطيعون ذلك".

فقال بيرتون هول:

– إنها أوهام فيرمي.

فرد عليه طومبسون قائلًا:

– كيف تستهين بمثل هذه الاستعدادات؟

فأجابه بيرتون هول:

– لأنني واقعي.

لم يكن طومبسون قد جاء إلى هذا المكان ليتحدث عن الأسلحة، وكان يعرف أنه يكذب على نفسه. لقد جاء إلى هنا وهو يشعر بشيء من الخوف لأنه عالم كبير، فقد قام بعمل "سيكلوترون" تستطيع إشعاعاته أن تحطم الذرة. وكانت الذرة أهم شيء في العالم في ذلك الوقت، وهي جزء لا تستطيع عين الإنسان أن تراه إلا كنقطة باهتة على شاشة سينمائية. واتكأ بيرتون هول، واقترب بوجهه إلى عيني طومبسون المندهشتين، وقال له:

– هل أنت مستعد لأن تقضي معي العام القادم للقيام بهذا العمل.

فأجاب طومبسون:

-إذا اضطررت إلى ذلك، بالرغم من أنني أود أن أنهي تجاربي، وأصل إلى بعض النتائج، من أجل المؤتمر الدولي الكبير، الذي سيعقد في الخريف القادم.

فقال بيرتون هول:

– إن هناك أشياء كثيرة نود أن نقوم بها والتي لا يبدو أنها ستتم لأن على الأقل. إنني أجمع العلماء، وأحسن العلماء بالطبع، من كل ركن من المصانع والجامعات، والرجل الذي أعول عليه كثيراً بعدك هو ستيفن كوست، أتعرفه؟ فتساءل طومبسون في حذر:

– هو شاب؟ أليس كذلك؟

فأجابه بيرتون هول:

– إنه شاب وجريء، ولهذه المهمة يجب أن يكون هؤلاء العلماء من الشباب.

وصمت طومبسون، وأخذ يعد ما معه من نقود. وكان بيرتون هول ينتظر، ويجول بعينيه الخضراوين في القاعة المزدحمة. كان كل من في هذه القاعة يأكل ويشرب، وكل منهم يرتاح إلى مكانه الصغير في الجامعة، دون أن يفكر فيما يطويه المستقبل. وسوف يطلب ستيفن كوست اليوم. وبعد ذلك يشغل نفسه بما جاء من أجله. لقد جاء إلى كاليفورنيا، ليذهب إلى جبل بعيد، يرقد فوق قمته تليسكوب كبير، وهناك سوف يتطلع إلى النجوم البعيدة، والمجرات التي تبعد عن المكان الذي يقف فيه بنحو خمسين ألف عام، وكما يتجه بعض الناس إلى الله، يستلهمونه القدرة على البقاء في أوقات الشدة والخوف، ويتجه آخرون إلى الشراب هروبًا من مخاوفهم، اتجه هو إلى النجوم والفضاء الواسع العريض.

وتنبه فجأة إلى وجود طومبسون وقال:

– هل أستطيع أن أعتمد عليك يا تومي إذا وقع أسوأ ما يمكن أن

يحدث يا بيرت؟

– سوف يحدث.. إني خائف.

– آمل ألا يحدث..

وصافح كل منهما الآخر. وركب بيرتون هول سيارته، ويمم وجهه تجاه سلسلة من الجبال فيما وراء الأفق.

كانت ليلة صافية، صعد بيرتون هول بسيارته إلى الطريق الوعر في شيء من اليسر، وأخذ يدور بها حول الجبل، حتى وصل إلى قمته. وفي ضوء القمر الخافت رأى القبة الفضية الهائلة، أكبر تليسكوب في العالم، والذي استغرق بناؤه عشر سنوات، وجهود مئات من الرجال الذين مات عدد منهم في أثناء العمل. وأمضى في صمت تام ما يقرب من ثلاث ساعات تحت القبة الفضية العالية. وخرج كما كان يخرج من قبل، رجلًا متواضعًا.. يحمل في رأسه أفكارًا كثيرة. لقد كان كل ما يشغل باله أن يعرف كيف تولد النجوم، وكيف تكبر، وكم من الزمن تبقى في الفضاء الذي يحيط بها. ويسأل نفسه:

– لماذا لم أتمسك بهذا الأمل؟ ولماذا شغلت نفسي بالأشعة الكونية وبنواة الذرة، وهي شيء صغير جدًا، لا استطيع أبدًا أن آمل في أن أراه. إن الأرض رائعة الجمال، ولكن لماذا لا تشبع روح الإنسان القلقة؟ ثم لماذا هو يمضي أيضًا يحاول أن يعرف ما وراء ذلك، وهذه معرفة لا نهاية لها؟ إنه الجوع والعطش إلى المعرفة.

كان يقود سيارته في الطريق الضيق الملتوي في تهور لا شعوري، وإنما

كان يفكر في السر وراء ذلك كله. إنه لا مفر من المحاولة، إن الإنسان عندما يتوقف عن طلب المعرفة.. يعود إلى عصور الوحشية، فإما التطلع إلى النجوم.. أو العودة إلى الأدغال.. وفجأة تذكر أنه نسى أن يطلب ستيفن كوست.

كانت إشعاعات الشمس الغاربة تزحف على أرضية الحجرة وكان ستيفن كوست يتنهد. كان النهار على وشك أن ينتهي. وكان وحده في الشقة، فقد كانت زوجته هيلين في حفلة في الشقة المجاورة. كان البيت هادئًا. ومرت الساعات كدقائق وهو يجلس في معمله. وفجأة ينظر إلى الساعة فيجدها السادسة، يا للسماء!!

لقد أوصته زوجته أن يشعل الفرن في الساعة الخامسة؛ حتى يكون الطعام معدًا في السابعة. فأسرع وغسل يديه، وقفز درجات السلم الضيقة إلى المطبخ. وفي نفس الوقت كانت زوجته عائدة من الباب الخلفي، فتوقف وهو يشعر بالذنب، أما زوجته فضحكت وقالت:

– لقد نسيت أن تشعل الفرن على الطعام.

– كيف عرفت ذلك؟

– إن وجهك دائمًا يقول لي كل شيء. وقبلته قبلة قصيرة، وأشعلت الفرن. فقال ستيفن:

– إني آسف يا هيلين.

فقالت زوجته وهي تخلع قبعتها، وتفرد شعرها الأسوة المجعد.

– سوف نتناول عشاءنا بعد الوقت المحدد له بساعة. ولكن ماذا كنت تفعل؟ بين كتبك بالطبع؟

كان ستيفن كوست طيلة السنوات الخمس السابقة يقيس الأشعة الكونية، هذه الإشعاعات من الحرارة التي تخترق أجواء الكرة الأرضية. لطالما صعد جبال الهيملايا ليقف مرتعشًا بل يكاد يتجمد من البرودة بين الثلوج، وطالما هبط إلى أعماق المناجم الساخنة في مناطق الفحم في ويلز ليكشف عن تسلل هده الأشعة، ومن هذه الكشوف جميعًا سوف يضع كتابًا. وقد اتفق مع زوجته على أن يتحول هذا الكتاب إلى تلك المادة النفيسة، المال، وذلك لبناء البيت الذي تريده هيلين. وقد وعدها زوجها بأن يفعل، وأنه لن يستخدم مزيدًا من الأموال للإنفاق على رحلات أخرى، وكان يريد أن تكون رحلته الثانية إلى خط الاستواء؛ حتى يكتشف ماذا يعنيه انبعاج الكرة الأرضية هناك، ولكن البيت قبل كل شيء.

ورفع غطاء قدر من الخزف الأزرق يحتوي على كعك، ولكن هيلين خطفت الغطاء منه ووضعته مكانه، وقالت:

– هذا خداع، لأنك نسيت أن تفتح الفرن على الطعام.

واستجاب لها كما كان يفعل دائمًا في المسائل البسيطة كلها. وفجأة قالت هيلين:

– إنك لم تعمل حتى في معادلات الإشعاعات الكونية.

فقال في ألم:

– هل وجهي ينبئ عن ذلك أيضًا؟

فسألته:

– إذن ماذا فعلت؟

فاعترف لها بقوله:

– كنت أعد طعام الكلب.

فقالت:

– كل فترة ما بعد الظهر من أجل الكلب! لقد وعدتني أن تبدأ كتابك اليوم.

فقال:

–إنني شخص لا يعتمد عليه كلية.

فرمقته بنظرة فاحصة؟ بعينيها الزرقاوين جدًا. وقالت:

ألا تريد أن تتغير؟ ففكر قليلًا ثم أردف:

– لا.. أعتقد.. إنني لن أفعل – ليس لدي وقت لذلك.

وأطلقت ضحكتها الناصعة المفاجئة، وجرت إليه واحتضنته بعنف وقالت:

–إنك أمين مخلص بشكل يستحق الإعجاب. وتحمل هذا العناق بصبر وبعد أن واجه نظراتها التي تؤنبه انحنى قليلًا ليقبلها على خدها، ولكن في هدوء ورقة، حتى أنها تشبثت بكتفيه وهزته بقدر ما أتاحت لها

قوتها فقد كان رجلًا ضخمًا بالرغم من أنه نحيف، وكانت هي امرأة رقيقة صغيرة الحجم، ثم قالت في عنف:

– أتدري كم من الأيام انقضى منذ أن اجتمعنا آخر مرة؟

فقال لها على الفور:

– منذ أسبوع.

ورفعت إليه حاجبين سوداوين، وزمت فمها الوردي ثم استطردت " منذ أسبوعين.. لو لم أكن أكثر النساء صبرًا واحتمالًا في هذا العالم، ومتزوجة من أكثر العلماء جمودًا وبرود عاطفة لكنت...

واستطاع أن يستشف أنها قد سكتت قليلًا لتستمع إلى سؤاله:

– ماذا كنت ستفعلين؟

فأجابت بسرعة:

– كنت هربت.. وهربت بعيدًا.. حتى إذا كان الليل شديد البرودة.

فقال:

– كنت أضيع وقتي بشكل كبير لو جريت بحثًا عنك. ولكني أعتقد أنني كنت سأضطر لذلك.

وأخفت وجهها في صدره وقالت:

– كنت سآتي إن لم تفعل..

وأعرب عن موافقته على هذا القول وأردف:

– كنت ستأتين. وبكل تأكيد إنك لا تستطيعين أن تتحملي، ألا تعرفين ماذا أفعل بدونك؟! كنت ستخشين أن أمضي على خير ما يرام.

وضحكت مرة أخرى وهي تضيف:

– أنا أعرف أنك لا تريدني.. ولكنك على الأقل.. تتظاهر بأنك تريدني.

ولم يجب على قولها هذا، أما هي فقد رفعت وجهها وهي تأمره قائلة:

– قبلني بالطريقة الصحيحة.

منذ سنوات عندما كانا جديدين في الكلية، علمته بالضبط. ماذا تعني بالقبلة على الطريقة الصحيحة، ومن ثم مضى على الفور في القيام بهذا الواجب، وهو واجب حبيب إلى نفسه ولا ريب... وانتظر الوصفة التي تتسلل في عروقه. وضغط بشفتيه على شفتيها، وأخذ يقيس الحرارة المتزايدة الناتجة، وتخيل آلة دقيقة تقيس بطريقة بيانية القوة المتزايدة للحب، إن هذه القوة في سرها تعتبر تفجيرًا ذريًّا أيضًا.

ونزعت نفسها من بين يديه:

– إنك لا تفكر فيّ!

وحينئذ.. رن جرس الهاتف، وعلى التو استدار إلى هذه الآلة التي أنقذته من الورطة التي كان فيها، ودفعته زوجته جانبًا وقالت:

– إن هذه مكالمة لي، وأنا أنتظرها. إن عائلة بورتر تريدنا أن نذهب إليها، وقد قلت لهم سوف أبلغك.

فسألها...

– ماذا تعنين؟

فقالت وهي تقضم شفتها السفلى، وعيناها مسددتان إليه، "أعني ما تعرفه بالضبط".

واختلفت زوجته سماعة الهاتف ثم أعطتها له، وهي تقول:

– ليست هذه مكالمة عائلة بورتر، إن شخصًا يريد أن يحدثك من كاليفورنيا.

ورمقها بنظرة تأنيب، ثم أمسك بسماعة الهاتف. وأخذ يحدث رئيسه العالم الطبيعي "بيرتون هول"، وكان صوت "بيرتون" المرتفع يهز أسلاك البرق، وهو يقول:

– آسف إذ أطلبك في هذه الساعة.. ولكن الأمر مهم جدًا.

– بالطبع!

– إذا طلبت مني الحكومة أن أرأس مشروعًا معينًا فإني أريدك أن تكون معي.

– أين يا سيدي؟

– لا أعرف بعد. بل لا أستطيع أن أقول لك ما هو هذا المشروع، ولكن لن تأسف على الحضور. إنه أكبر عمل في العالم.

– ألا تستطيع أن تقول لي أكثر من هذا؟

– لا.. إن الأمر سر.

– ومن سيكون معنا في هذا المشروع؟

– جميع كبار العلماء، بالإضافة إلى أفضل العلماء من الشباب، وأنت أول من أريدهم من هؤلاء.

– من الصعب أن أقول لك لا، ولكن..

وهنا ونت في أذنه ضحكة كبيرة، وسمع زوجته تقول:

– ارفض هذا الطلب. فأنا لا أستطيع أن أتركك.

وتردد كوست قليلًا. لقد عمل مع بيرتون هول وتحت إشرافه منذ أن انتهى من دراسته. ثم قال لأستاذه عبر الهاتف:

– يجب أن أتحدث في هذا الشأن مع زوجتي.

وكانت هيلين في هذه الأثناء تذرع الغرفة، وقد احتقن وجهها ثم تمتمت في همس تقول:

– لا تقل إنك مضطر لأن تناقش معي هذا الموضوع، وضحك وقال عبر الهاتف:

– إن هيلين تقول إنها لا تريد أن تتحدث مع أحد بشأن هذا الموضوع.

فرن الصوت الآخر الأجش في أذنه وهو يردد:

– يا لها من فتاة طيبة. سوف ترضى. إنهن دائمًا يفعلن ذلك.

وكان بيرتون هول يعني بهذه العبارة الأخيرة، زوجته مولي.. أم ولديه الحنون، التي تتدخل في كل شيء، والتي دائمًا ما تكون حاضرة في أي موضوع، حتى إن هيلين في يوم من الأيام قالت في غضب إنه لا توجد وسيلة للبعد عن هذه السيدة. وقال لها ستيفن آنذاك:

– ربما لا يريد هو أن يبتعد عنها.

كانت هيلين قد فتحت عينيها الزرقاوين تحت رموشها السوداء، ثم ألقت بكلمة – غبي– التي كانت كافية لأن يتبادل الاثنان بسببها الضحك.

فقال ستيفن لأستاذه عبر الهاتف:

– أحب أن أسمع كل شيء عن الموضوع إذا بُدئ في تنفيذه والعمل فيه.

فسمع بيرتون هول يقول له:

– بالطبع. وأحب أن أراك صباح الثلاثاء في المعمل.

وسمع ستيفن صوت سماعة الهاتف على الطرف الآخر وهي ترتطم بالآلة، ثم وضع السماعة التي في يده، ووقف تائهًا في تفكير عميق، وكانت هيلين تنتظر في صمت، وكانت قد فتحت باب الفرن.. وأخرجت الشواء، ثم جسته بشوكة، ثم أدخلته مرة أخرى وأغلقت الباب. ثم أخذت تتمتم:

– وداعًا يا منزلي.. وداعًا يا منزلي الحبيب الجديد.. المنزل الذي لن أملكه أبدًا، بيتي، قلعتي، مأواي الجميل، وداعًا يا شجيرة الورد البيضاء،

وداعًا يا حديقتي الزرقاء ذات الأشجار الجميلة. وداعًا لكل شيء.

وتنبه ستيفن فجأة، وكأنه عائد من أماكن بعيدة، وقال:

– لا وداع لأي شيء.. إن المنزل هناك ينتظر، قد أتفق معك في أنه سيتأخر قليلًا، ولكنه موجود، وسوف تستمتعين به يومًا ما. ثم قالت:

– عندما أراه..

ولكنها كانت لا تزال مبتهجة، ومتسامحة وكانت ترقص في دائرة حوله، وهي تفرد فستانها، وأخذت تغني:

"سوف يكون لنا ولد. سيكون لنا ولد سفير، يشغلني عن كل شيء.. ولد أتلهى به، في الوقت الذي تكون فيه أنت مع نجومك وذراتك".

وقفت بجانب الفرن وأطفأته، ونظر إليها مستغربًا، وقال:

– أهذا وقته؟

ولكنها واصلت رقصتها وهي تضيق من الدائرة حتى انتهت بين ذراعيه، وشفتاها فوق شفتيه، وتمتمت قائلة:

- لينتظر الطعام.

وبعد ذلك بساعتين، سحبت نفسها من جانبه، وقالت:

– لم يحدث شيء هده المرة أيضًا.

جلست على طرف السرير الكبير، ووضعت رجليها في "شبشبها" وكان ضوء القمر الصاعد في السماء يتسلل عبر الستائر البيضاء المسدلة.

وسألها:

– ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟

فهزت رأسها وقالت:

– لم يكن قلبك معي.

وأخذ يفكر في هذا الاتهام ثم قال:

– ليس صحيحًا ما تقولين.

وتحولت إليه، وأمسكت بأذنيه، وأخذت تحملق في أعماق عينيه، ثم قالت:

– لم يكن عقلك حينئذ هنا. وأتحداك إن لم يكن عقلك هو قلبك، وقلبك هو عقلك، وأنت لا تعرف الفرق بينهما.

فتطلع إلى العينين الزرقاوين اللتين تتهمانه، وإذا لم يستطع أن ينكر الحقيقة، جذبها إليه حتى أصبح فمها على فمه، وتبعثر شعرها الأسود على وجهه.

الفصل الثاني



في صبيحة يوم الثلاثاء كان بيرتون هول يتحدث إلى ستيفن كوست، وفي نهاية الحديث قال له:

– هذا ما أستطيع أن أقوله لك. أما الباقي فيجب أن تثق بنا بشأنه... إن هذا عمل مهم في ساعة عصيبة. وسوف نجري الاختبارات في مكان ما، وبعد ذلك نمضي في الإنتاج.

وسأله ستيفن:

– ألا تعرف أين، ومتى؟

– ليس بعد.. ولكن سيكون العمل في مكان بعيد ومنعزل، لا يمر فيه إنسان؛ حيث نستطيع أن نحمي المداخل والمخارج.

– كم سيمضي من الوقت قبل أن نتحرك؟

– إنني لا أعرف ذلك أيضًا. ولكن لا يجب أن تثبت في أي مكان في هذه الفترة. ولا يجب أن تشتري المنزل الجديد.

وأخذ ستيفن كوست يفكر، ولكن صوت بيرتون هول الحاد داهمه وهو يفكر، وقال:

– إنني أريد مساعدتك.

ولم يجب ستيفن كوست، وكانت شمس أبريل الباهتة تسطع عبر المكتب الكبير القديم في الجامعة، وتسقط على السجادة البالية عند قدميه. ثم تلاقت عيناه بعيني بيرتون هول الخضراوين المتوترتين تحت حاجبيه الكثيفين. وقال:

– ألا يخاف هؤلاء العلماء الأجانب، وخصوصًا هؤلاء الذين قدموا من المجر.

– أعتقد إنك تفكر في زيجني إنه مثير. وكم أصب شكوكي عليه، ولكنه لا يضعف. ودائمًا ما يردد اتهاماته بأن الأمريكيين أطفال ينامون مثل الصبية، ويحشون بطونهم بالطعام، ويلعبون بالكور، ويتلهون بالحب. وهو يصر على أن اهتمامنا بالجنس في حد ذاته يجعلنا أغبياء، ويغلق عقولنا.. بالمناسبة.. سوف اتناول عشائي اليوم مع طومبسون. لقد عاد معي. ألم تقابله؟

– طبعًا سمعت عنه.

– إنني لأعجب، هل ستستطيع مرة أخرى أن نقيس الأشعة الكونية كما كنا نفعل؟ لا أعتقد".

أما فيما يتعلق بطومبسون فهو زميل رائع؛ لقد كان طالبًا عندي منذ اثنتي عشرة سنة، أو ربما ثلاث عشرة سنة. وهو يتمتع بعقل خصب، ودائمًا ما يفكر في أشياء جديدة، بل وينفذها. ويكاد ينتهي من جهاز السيكلوترون الذي يصنعه ويتوقع أن يفعل به شيئًا عظيمًا في علاج السرطان. وسوف يكون لديه أفكار جديدة اليوم. إن الأفكار تنبثق منه

وهي تتعلق بالتفاعل. عليك إذن أن تحضر إلى فندق بيلامي في الساعة السابعة والنصف. فلنستمتع بشيء من الرفاهية قبل أن ننغمس في التقشف والجفاف، وعلى الفور قال له ستيفن كوست:

– سوف أكون هناك في ذلك الوقت.

ونهض ستيفن كوست، ولكن بيرتون هول واصل حديثه قائلًا:

– لقد أوقفني طومبسون يومًا وهو في طريقه إلى كاليفورنيا، وكان في ذلك الحين يدرب هناك، وأطلعني على الخطط التي رسمها لهذا الجهاز اللي يسميه بالسيكلوترون، والمسالة تتعلق بما إذا كان هذا الجهاز يفيد فيما نحن مقبلون عليه، وعلى أية حال فهو يفيد إلى الدرجة التي تجعلنا نتتبع طريق النواة المنفردة، ولسوف نتعرف على أقل قدر من الطاقة التي نحتاج إليها لتحطيم نواة معينة. ومن ثم فإن كل ما قمنا به من عمل يتعلق بالطاقة الشمسية، سوف يفيدنا الآن، وإني لأراهنك على أنك كنت تعجب مما سوف نجنيه من فائدة من عملنا في الإشعاعات الكونية.

وهنا قال ستيفن:

– لقد علمتني ألا أسأل. وأن أمضي في المعرفة من أجل المعرفة ذاتها.

فوافقه بيرتون على ذلك، وقال:

– هكذا رأى. وقد أدى بنا ـ أو سوف يؤدي بنا – إلى السر الذي يكمن وراء الشمس، ووراء الحياة ذاتها. فكر في هذا جيدًا، لقد كان يمكن أن تموت البشرية لو لم يكن هذا السر بل وكانت الشمس قد بردت منذ

فترة طويلة، لو لم تكن موجودة من أجل هذا المنبع المقدس للطاقة الحرارية النووية.. الانفجار، هذا هو السر، وإننا على وشك أن نكتشف أعظم هذه الانفجارات جميعًا. وماذا كنا سنفعل بدون العلماء الأوروبيين؟ لقد عاشوا أجيالًا كثيرة يستخدمون فيها عقولهم المركزة لحل المشكلات المركزة الدقيقة، ولم يكن لدينا وقت، كان علينا أن نبني أمة من الأحراش. ومن ثم لا يجب أن نهمل هؤلاء الأجانب. لقد أطلت ويجب علي أن أتوقف عن الوعظ. وكان يمكن أن أكون واعظًا، وأنا لا أستطيع أن أهرب مما ورثت. ألم أقل لك كثيرًا إن أبي كان من رجال الدين؟

فقال ستيفن في حزم:

– نعم، لقد قلت لي ذلك.

فقال بيرتون هول:

–وكانت أمي أيضًا متدينة. كيف أستطيع أن أهرب من هذا الإرث؟!

فقال ستيفن كوست وهو يقف بالقرب من الباب:

– بالطبع لا تستطيع. وداعًا. سوف أراك هذا المساء.

فأخذ ستيفن كوست يفكر فيما بينه وبين نفسه: كيف ستتحمل هيلين هذه الخطوة الجديدة. لسوف تسأل إلى أين سنمضى. ولن أستطيع الإجابة على هذا السؤال. إن بيرتون هول لم يعتبر ذلك شيئًا مهمًا وربما لا يعرف إلى أين سنمضي.. إذن لا حاجة لأن يطلب هيلين، فسوف يعرف الكثير هذه الليلة، وسوف يكون هناك وقت ليحدثها فيه، عندما يعود إلى المنزل،

كذلك يجب أن تتعود على الانتظار من الآن. ونحّى جانبًا فكرة أنها لم تتعود على الانتظار، وأنها لن تتعود عليه. ذلك لأنها قالت:

– إن لدي مرضًا خطيرًا يطلق عليه قلق الروح.

ونحى أيضًا هذه الفكرة جانبًا. ومضى يسير في هواء الصباح البارد، وقد تنبأ الراديو بأن المطر سوف يهطل بعد الظهيرة، وربما بعض الثلوج. وتنفس في عمق ثم أسرع الخطى. كان منتعشًا، ويشعر بالحيوية والشباب، ثم تذكر فجأة أنه لن يذهب إلى منزله لتناول الغداء. ومن ثم أمسك بسماعة التليفون ليكلم زوجته.

– هيلين؟

– نفس الشيء بالأمس واليوم. وإلى الأبد. إن عندي بعض شرائح اللحم للعشاء هذه الليلة.

– هيلين، يجب أن أقول لك.

فقالت وقد تخلت عنها فرحتها:

– لن نستطيع أن نشترى البيت؟

– ليس بعد يا عزيزتي، ولكن.

– ماذا يريد رئيسك الآن؟

– شيئًا على جانب كبير من الأهمية، وأنا لا أستطيع أن أرفض.

فصاحت وهي تقول:

– وبالطبع إن كل شيء مهم بالنسبة لك. وتركها تولول، ثم قال:

– هل استقيل من وظيفتي؟

– لا يا ستيفن. لا.

– سوف يكون لك بيت، وأنت تعرفين ذلك.

– نعم، أعرف.

– هل أحبك؟

– أعتقد ذلك

– هل أحبك؟

– نعم

– تذكري ذلك جيدًا.. بالمناسبة.. لن أحضر للعشاء الليلة. إن بيرتون هول يريدني أن أقابل طومبسون.

ووضع السماعة غير عابئ بما ستجيب به عليه.

كانت ردهة الفندق مزدحمة بالناس عندما دقت الساعة السابعة والنصف. هذا بالرغم من أنها ردهة كبيرة، تنسدل على يسارها الستائر الشرقية التي يصل ارتفاعها إلى اثني عشر قدمًا. أما في وسط الردهة.. فكانت النافورة تخرج ينابيعها الصغيرة من المياه الفضية، وفوق النافورة وفي قفص كبير معلق بخيوط لا تستطيع أن تراها، كانت الطيور والعصافير تمرح وتغني. وتطلع ستيفن حوله، ولم ير أحدًا يعرفه.. لقد جاء في موعده

بالضبط، وهو الآن أول من حضر. ويتذكر كيف إن هيلين صباح ذلك اليوم قد أعربت عن شكواها قائلة:

– كم تضيع من الوقت وأنت تضبط مواعيدك دائمًا!

ولكنه لم يكن يستطيع أن يغير نفسه، لقد علمه أبوه أن يكون دقيقًا. فالشكر يجب أن يقال قبل أن يؤكل الطعام، وكان هذا الشخص الطويل – هو أبوه – ينتظر على رأس المائدة ثلاث مرات في اليوم حتى تتجمع العائلة كلها، ولكن الوقت أصبح جامدًا لا يتحرك، مادة يخضع لها الفرد إرادته.

وقد قالت له زوجته هذا الصباح:

– الانسان في صراع مع الوقت.. ألا تعتقد فيما قاله أينشتين؟

كانت هذه السخرية من عاداتها المسلية والمثيرة للضيق إلى حد ما..

وأخذ يبتسم وهو واقف أمام النافورة ويشاهد العصافير المرحة السعيدة تعلمت الحديث العلمي، واستخدمت ذلك لمضايقته وتحديه، ونجحت في ذلك لأنه، لدهشته الشديدة، لاحظ أنها تدرك بشكل مدهش المبادئ التي تعلن أنها تحتقرها، وليس هذا عن طريق استخدام عقلها، ولكن عن طريق ومضات لما يسمى بالحدس، وهذه كلمة يمقتها كثيرًا.

وترك هذا كله يخرج من عقله، وركز اهتمامه على العصافير الخضراء، وبعض عصافير الكناريا الصفراء. وانطلق أحد عصافير الكناريا وكان من الذكور، يغني، وحفز أكثر من ستة عصافير أخرى على الغناء، والتمشي

معه في النغم والصوت. أما الإناث فقد لاحظ أنها تظاهرت بعدم الاهتمام. فقد وقفت على الأسلاك الصغيرة داخل وعاء الحبوب، وأخذت تلتقط طعامها. فهل تسمع أو تهتم؟ لقد أخذ يعمل فكره حول الاختلاف بين الأجناس. للنظر إلى فراشات الفاكهة – لقد ناقش ستيفن هذا الموضوع في إحدى الإمسيات مع ستالتون عالم الأحياء الكبير.

قال ستانتون:

– قد تكون الأهمية الوحيدة للذكر هي أنه أداة للبقاء.

واعترضت هيلين، وقالت:

– فكرة رهيبة.

ولكن عينيها كانت تتطلعان في حب استطلاع، حتى أنها قالت:

– استمر..

فواصل ستانتون حديثه قائلًا:

– إني أعمل بالأرقيات وقد وجدت أنه عندما ينقص الطعام، ويصبح الأمر يتعلق بالبقاء، الشيء الذي يعني الصراع، فإن الكثير من الذكور يولدون. ولكن إذا ما ازدادت مؤن الطعام ومن ثم قلت الحاجة إلى الصراع، فإنه يولد الكثير من الإناث.

وسالت هيلين:

– ماذا يعني ذلك؟

فقال ستانتون وهو يضحك:

– أنت التي تقولين لي.

وواصل ستيفن تفكيره.. ليس هناك قلة في الطعام في هذا الفندق. فها هي أوعية الحبوب ممتلئة، وهناك بعض أوراق الخس، وبعض البيض الملون المقطع يقدم غذاء لهذه الإناث. وكانت ما تزال تتخم حويصلاتها بالأكل، غير عابئة بالغناء الذي كانت الذكور تشدو به.

ولكن صوت بيرتون هول الأجش أخرجه من هذا العالم الكبير.

– أنت هنا – يا ستيف – هل انتظرت مدة طويلة؟ ها هو طومبسون قادم من كاليفورنيا – تومي – إنك تعرف ستيف – إنه مشهور بالأشعة الكونية إلخ.. وهو أفضل شاب عندي.

ثم نظر إلى ستيفن وقال:

– لقد جئت بأول مساعد لي.

جين إيرل:

– هيا لقد حجزت مائدة.

وعلى الفور كان بيرتون هول في منتصف الردهة. وصافح ستيفن طومبسون، نعم إنه ليتذكر هذا الشخص النحيف الصغير. ولكن من تكون جين إيرل هذه؟ إنه لم ير هذه الفتاة من قبل. لقد كانت شابة صغيرة. ربما في الثانية والعشرين من عمرها، وربما تكون جميلة، إنه ليس على يقين من ذلك، ولكن المؤكد أنها أنيقة في ردائها الأسود وقبعتها الصغيرة البيضاء.

كانت هادئة وكان صوتها واضحًا. وذهب إليها حتى كان على بعد خطوة منها ثم قال:

– إنني لم أقابلك من قبل، هل قابلتك؟

فقالت:

– لقد قدمت إلى هنا من نيويورك منذ أقل من شهر.. ولم يقابلني أحد.

وقرر فيما بينه وبين نفسه أنها فتاة رقيقة وهادئة، وليست لعوبًا وما إن جلسوا جميعًا حول المائدة حتى نسيها، بالرغم من أنها كانت في مواجهته بين بيرتون هول وطومبسون.

وقال بيرتون هول:

– لا تتحدثوا قبل أن تقرروا ماذا ستأكلون؟ إنني دائمًا أفضل اللحوم المشوية.. وأنتم أيضًا.. أليس كذلك؟ إذن أربعة من اللحوم المشوية، وسلطة خضراء، وقهوة.. والآن.. ماذا أحرزت من تقدم يا طومبسون باختراعك الذي يحطم الذرة؟ إن السيكلوترون عبارة من محطم ذي طاقة عالية للذرة بالطبع وذرات الديوترونات والبروتونات والألفا ما هي إلا مقذوفات، أما الذرات الأخرى فتتحول إلى نظائر مشعة.. شيء رائع.. رائع جدًا.

وقال طومبسون في صوت ضعيف جاف:

– هناك مساوئ أن النظائر يمكن أن تحطم الأنسجة الطبيعية، وهذا

يعني أننا لا نستطيع أن ندرس الكائنات الصغيرة أو الخلايا.

فأجاب بيرتون هول:

- أحب دائمًا أن أتحدث عن المزايا، فالإشعاعات عندما تتأين يمكن أن تحطم الأنسجة الضعيفة الضامرة.

ومضت المناقشة على هذا النحو العادي. ولم تقل جين إيرل شيئًا. إنها امرأة رائعة صامتة، يمكن تجاهلها عندما يتناقش الرجال في سعادة. وانغمسوا جميعًا في عالمهم، كرجال علم، كل منهم أقرب إلى الآخر أكثر منه إلى زوجته وأولاده، لغتهم سرية، وعقولهم تنظمها نغمة موحدة.

وتقدمت من الجميع فتاة شقراء مثيرة نصف عارية، تعرض عليهم بعض المنتجات. ورد بيرتون هول على ابتسامتها بابتسامة، واشترى منها بعض ما معها، أما الآخرون فقد رفضوا أن يشتروا شيئًا. وجلس الجميع في صمت وأخدوا يشاهدون العرض الذي بدأ على المسرح الصغير المقام في نهاية حجرة الطعام. وظهرت ست فتيات في أردية فضية ضيقة وعلى شفاههن ابتسامات خفيفة.

وتطلع إليهن طومبسون، ثم نظر بعيدًا. أما ستيفن فكان يحتسي قهوته على مهل، وهو يفكر في سخف مثل هذا الترفيه، في الوقت الذي كان هناك في معمله أشياء واختراعات مثيرة، أما بيرتون هول فقد كان يحملق في هذه الفتيات. وشيء من السخرية ينطلق من عينيه الخضراوين ثم قال، وهو يكاد يحدث. نفسه:

– ماذا يعني عندما نستخدم حقًا الإنتاج الهائل لاستخراج هذه الطاقة

من الذرة على نطاق واسع لنعطي العالم الحرارة والضوء.

فرد عليه طومبسون بقوله:

– أو نقضي عليه.

وعلى الفور بادره بيرتون هول بقوله:

– أنت دائمًا متشائم.

ثم تساءل ستيفن وقد رفع صوته ليطغي على الموسيقى الصارخة التي تصاحب الفتيات الراقصات:

– هل تفعل هذه اللجنة التي تنعقد في واشنطن شيئًا؟

فأجابه طومبسون:

– إن كل ما يجري سر بالطبع. ولكن لو كان حدث شيء مهم لسمعنا عنه. وإني لأرتاب في أنهم ينظرون إلى الأمر بشكل جدي. ويجب علينا أن نفعل ذلك، إذا صدقنا ما قاله زيجني.

وضحك بيرتون هول، وقال:

– هل قال لك شيئًا أيضاً؟ ثم لأي شيء سنستخدم الطاقة إذن؟ هل قال لك؟

فقال ستيفن:

– إننا نستطيع أن نسير بها السفن، أو نقسم بها اليورانيوم ٢٣٥

فردد بيرتون هول كلام ستيفن وقال:

– نسير بها السفن! حسنًا، أخبره بكل شيء يا طومبسون.

وقطع حديثهم تصفيق حاد، فقد انتهت الرقصة، وأخذت الفتيات ينطلقن مبتعدات عن المسرح، وحل محلهن ثلاثة من الأكروبات.

وقال طومبسون:

– إننا نعرف أن النازيين يعملون بنشاط وجد، ولديهم رجال أكفاء، وقد أحرزوا تقدمًا كبيرًا في فصل نوعي اليورانيوم.وصدقوني إنهم لا ينوون استخدامهما من أجل السلام.

وفجأة انبعث صوت جين الهادئ، وقالت:

–هل يجب أن نناقش هده الموضوعات هنا.

فتوقف الرجال عن مناقشاتهم على الفور، و قال لها بيرتون هول:

– أشكرك يا جين. عليك أن تذكرينا دائمًا بذلك. إذن لنتقابل في منزلي غدًا مساء، فسوف يعود طومبسون إلى كاليفورنيا بعد غد.

وساد الصمت، وأخذ الجميع يزدردون طعامهم بسرعة واهتمام، ثم احتسى الجميع القهوة، وأخذوا يشقون طريقهم خارج الردهة، ولكن ستيفن توقف قليلًا عند قفص العصافير، وشغل بها برهة، كان هناك زوج من العصافير قد بنى عشًا

بين فرعين من فروع شجرة صناعية، وكانت الأنثى في حالة من الضيق، وترفض على ما يبدو أن تجلس في العش حيث توجد بيضتان، أما الذكر.. فقد كان نحيفًا ومتغطرسًا، وكان يصرخ ويزمجر، ولكن بلا فائدة،

وقفرت الأنثى العنيدة إلى حيث توجد الحبوب، وأخذت تبعثرها ذات اليمين، وذات اليسار، وأخيرًا جلس الذكر الثائر المتضايق، وكان ما يزال يزمجر، على البيض.

وسمع ستيفن بجواره من يقول:

– يا له من تعس...

فتحول ببصره ليجد – وهو في دهشة بالغة – عينين سوداوين في مستوى بصره تقريبًا ترنوان إليه. كانت جين إيرل تقف بجانبه، طويلة ونحيفة وهادئة. وقال:

- حقًا إنه لشيء سخيف أن أقف هكذا، ولكن هناك شيئًا جذابًا في هذه المخلوقات. فقالت:

– إني أحبها، ويمكن أن أشاهدها لمدة ساعة، بل لا يضيرني أن أقضي بعض يوم في هذه المشاهدة.

وقال وهو يفكر:

– إني لأعجب كيف يحدث ذلك.

فقالت:

– إنها تحيا حياتها الخاصة البسيطة في جدة واهتمام، بين كل هذا الضوء والبريق.

وقال لنفسه إن صوتها جميل ودافئ... وهذا هو الصوت الذي يجب أن تتمتع به كل امرأة.. رقيق يتكسر في عذوبة.

وعلى الفور سألها، وقد نسى الطيور:

– كيف أصبحت عالمة؟

وضحكت:

– إني مهتمة فحسب.. وكنت دائمًا أهتم بالعلوم.

– في العلوم!

– إذا كان هذا هو ما تريد أن تسمي به اللهفة وحب الاستطلاع اللذين يدفعان الإنسان ويسيرانه.

وضحكت، وأشاحت بهزة من يدها التي يغطيها القفاز. وأبعد عينيه عن قدها الرشيق. وكانت الكناريا الأنثى في القفص قد لانت ورقت، فاقتربت من العش وأخذت تنقر في رفيقها. فنهض، وقفز مبتعدًا عنها بثلاث بوصات، وحملق فيها بعنف من إحدى عينيه ثم بالأخرى، بينما كانت تستقر على البيض في هدوء.

وحينئذ نفش ريشه وانطلق في أغنية تحمل معنى الانتصار. ومضى ستيفن: من الذي سينتصر؟ إنه لم يستطع أن يقرر.

**

وفي مساء اليوم التالي أعدت "مولي هول" مرشحًا من القهوة الساخنة على المائدة في حجرة المعيشة، وعددًا كبيرًا من الأقداح والأطباق. وكذلك أعدت الساندويتشات، والفطائر، ومفارش الورق الوردية اللون. فالعلماء دائمًا جوعى – نحاف.. إن هناك حفل الليلة من أجل "طومبسون".

وسوف يحضر الجميع، ومعهم زوجاتهم، وكذلك جين إيرل. إن بيرتون هول بالنسبة لها أفضل زوج في العالم. ولكنه ما يزال أنيقًا حتى أنها لتضطر أن تراقبه.

إنها تذهب معه في كل مكان، فقط لتحميه. وهي تعرف واجبها. فالعلماء دائمًا مشغولون تائهون. وهم لا يعرفون متى تتودد إليهم المرأة، وعندما يعرفون يشعرون بالسرور العميق، ويمكن خداع بيرتون بسهولة؛ فهو يصدق كل شيء تقوله له أية امرأة، عندما يراها، ومضت إلى السلم. ونادت بيرتون هول فسمعت زمجرة.

فقالت:

– سوف أصعد إليك.. إنني على ثقة من أنني وضعته في الدرج الذي فيه قمصانك الأخرى.

كان بيرتون هول يبحث عن قميصه ذي الخطوط الزرقاء المفضل لديه. يا له من طفل. ماذا كان سيفعل بدونها؟ وفجأة دق جرس الباب، واحتارت ماذا تفعل، ماذا يجب أن تفعل أولًا؟

وصرخت وهي تسرع إلى الباب:

– انتظر لحظة يا بيرت.

إنه لابد أن يكون أحد العلماء قد جاء في موعده... وهم دائمًا كذلك. وفتحت الباب لتستوي "إيرنست وينر"... ألماني.. أليس كذلك، أو ربما يكون مجريًا؟ إنها لا تستطيع أنه تميزهم. وقالت له في عطف:

– تفضل بالدخول، سوف يحضر بيرت حالًا.

وأخذت منه قبعته التي هي عبارة عن حطام قبعة، إن هؤلاء الأجانب ليس معهم نقود.

وأنهى ارتداء ملابسه، وتطلع إلى المرآة ليسوي شعره الأحمر الخشن. ودق جرس الباب مرة أخرى، فأسرع يهبط الدرج، وفتح الباب، كان جميعهم قد حضر.. إخوته في العلم، وكان يحبهم. وكانت زوجاتهم تسير وراءهم.

فصاح:

– ادخلوا تعالوا أيها الزملاء... هناك قهوة وشراب.

وانضم إليهم وهم في حجرة المعيشة. وزوجاتهم تتبعهم.. ولكن جين إيرل كانت تسير وحيدة هادئة.

وتمتمت هيلين كوست التي كانت تتبع زوجها ستيفن، في أذنه اليمن:

– إن هده تشبه حفلة لعب الورق.. ومن تكون هذه الفتاة السمراء الطويلة؟ هل تعرفها. .

فقال ستيفن:

– جين إيرل.. ها هو "وينر" إني أريد أن أسأله عن شيء.

وترك زوجته وجلب كرسيًّا إلى جانب "وينر". وابتسم الرجل المجري، ومد يده اليمنى، ولمس يد ستيفن وقال:

– ما أقوى يدك.

وضحك ستيفن، واقترب بكرسيه أكثر وقال:

– هل قرأت التقرير الذي جاء من "فون هالبان" و"جولبوت" و"كوارسكي"؟

فأومأ وينر ثم همس:

– إن هذه هي الخطوة الأولى ولكنها لا تبشر بالكثير.

واستمر في كلامه، ولكن مولي كانت تحث الزوجات على الذهاب إلى الشرفة. وأخذت كل منهن وهي خارجة تنظر إلى جين إيرل التي كانت تجلس في كرسي كبير أخضر اللون، يتناقض مع ردائها البني المائل للصفرة. وكانت تبتسم لهن في رقة كأنها تعتذر.

ونهض بيرتون هول، وذهب إلى جين إيرل، ودفع بكرسيها إلى دائرة الرجال وقال:

– تقدمي.. أنت تعرفين إننا لا نستطيع أن نستغني عنك، هل تريدين أن تكتبي ملاحظاتنا ونحن نتحدث؟

– بالطبع...

ثم قامت من مقعدها الوثير وأجلست نفسها على كرسي عادي إلى المائدة. ومن حقيبتها البنية اللون أخرجت قلمًا وكراسة صغيرة ثم أزاحت قبعتها الصغيرة من فوق رأسها، وكان شعرها يلمع بلون برونزي أسود في ضوء المصباح أما بشرتها– وهذا ما لاحظه ستيفن فجأة– فكانت بيضاء كالقشدة.

وقال بيرتون:

– ماذا تعرف حقًا عن الألمان؟ وما الذي حصلوا عليه؟

فأجاب زيجني في صوت أجش:

– "هان" إن لديهم هان.. وهو يساوي عشرة من أمثالنا فرد عليه بيرتون. إنني لا أقبل ذلك، ثم ماذا يفعل هان؟ هل يعرف أي واحد ماذا يفعل بالضبط؟

وسعل "وينر" وقد وضع يده أمام فمه ثم أردف:

– معذرة.. إنني أعتقد أن مثل هذه الأشياء ليست هامة. ما يفعله واحد وما يفعله الآخر. إننا في سباق.. كذلك فإن كل واحد يفعل شيئًا لنصل إلى الهدف، ولكن ما هو الهدف؟ إنه الانقسام – انقسام النواة– في تفاعل مستمر. وإنني أرى أننا على وشك أن نكتشف ذلك، فإذا أمكن فصل اليورانيوم ٢٣٥ عن اليورانيوم ٢٣٨ فسوف نصل إلى الهدف.

وانبرى طومبسون يقول:

- موافق.. فالقوة المتفجرة ستكون أقوى مائة مليون مرة من ت. ن. ت. ولكنها أكثر تعقيدًا مما يعتقد فيرمي.

فقال زيجني:

– إن كل شيء بسيط وسهل إذا وجد عقل مثل عقل فيرمي.

واحتدمت المناقشة وتطورت.. كما هو متوقع.. إلى جدل علمي.. وظهر الاهتمام والجد على الوجوه. ولكن حين كانت تعبث في حقيبتها

لتخرج نسخة من خطاب، وصلها من صديق لها في لندن. وقد جاء في هذا الخطاب:

– إنه ليبدو أنه من الممكن أن نواة اليورانيوم ليست ذات شكل ثابت تمامًا، وقد تقسم نفسها.. بعد استغلال النيوترون.. إلى

نواتين صغيرتين متساويتين. وتطلعت إليهم ورأت عيني ستيفن مركزتين عليها. ثم قالت:

– أليس هذا هو الانقسام. وهم يقولون في الخطاب أن العناصر الناتجة عن ذلك مشعة.

وكان الجميع ينصت في اهتمام، ولكن "وينر" انبرى بعد تردد ليقول:

– ليس هناك أهمية في ذلك ما لم يؤد أحد الانفجارات إلى الآخر.

وصرخ بيرتون هول موجهًا كلامه إلى طومبسون:

– ألا تعرف أننا لا نملك ما يكفي من اليورانيوم كما أننا لا نملك من الماء ما يكفي الثقيل. والله – أو الشيطان – يعرف وحده ماذا يفعل الألمان بالماء الثقيل في النرويج. ثم ماذا عما يفعله الروس واليابان؟

ولم يكمل إذ سمع زوجته تناديه.. تسأله عما إذا كانوا على استعداد لتناول المرطبات. وكانت الساعة تقترب من الثانية عشرة... فأومأ في عنف ووثب عبر الحجرة، ووقف وظهره إلى الباب.

– تعرفون أيها الزملاء أن هذا سري جدًا، ويجب أن نفكر فيما نفعل.

فقال ستيفن:

– يجب أن نبلغ الحكومة عن مخاوفنا.

فأردف طومبسون:

– لا ريب في ذلك.. ولكن ألا ننتظر حتى ينتهي المؤتمر؟ فسوف يكون لدينا حينئذ الكثير الذي نقوله ذلك لأننا سنعرف الكثير.

فقال بيرتون:

– ليس من الورق الذي يقرأ علينا.

فاقترح وينر:

– ولكن يجب أن نعقد مباحثات خاصة. أما عن نفسي فسوف أتحدث مع بعض العلماء الأجانب. ويمكن أن أجد بعضهم. وسوف يبلغونني بأسرار يريدون أن يعرفها الأمريكيون.

ووافق بيرتون بقوله:

– بعد المؤتمر.

وكانت زوجته تنقر على الزجاج وراء ظهره الذي يرتكن إلى الباب.

وفتح الباب ودخلت النسوة. وتحلل الجو المتوتر الذي كانوا فيه، وتحول إلى أصوات وكلمات وحركات ورائحة القهوة الساخنة.

وبعد ساعة، وبينما كان ستيفن يقود عربته عائدًا إلى البيت وبجواره زوجته في معطفها، سمع زوجته تتمتم وهي نصف نائمة.

– ماذا في هذه المرأة لا أتمتع به أنا؟

فسألها وهي في شبه غيبوبة:

– أية امرأة؟

– إذا لم تكن تذكر. سوف أذكرك. ثم راحت في النوم مرة أخرى.

الفصل الثالث



في الصباح استيقظ من نومه مبكرًا. وكان ذهنه صافيًا، وكانت الأفكار تتابع الواحدة بعد الأخرى. كان يفكر في العالم الياباني الذي أجبر الجميع على احترامه، والذي يعمل في نظريات تتعلق بالعنصر الجديد في نواة الذرة. ثم راح فكره إلى العالم النمسوي، وفي كل ما يقوم به هؤلاء جميعًا. كان فكره يتجول في سبحانه وحده بينما كان جسده – بسبب العادة– يقوم بمهامه الضرورية. فقام بتنظيف أسنانه، واستمتع بحمام الصباح، وحلق دقنه، وأخذ يرتدي الملابس النظيفة التي وجدها معدة له على الكرسي، ثم عقد رابطة عنقه. وبعد أن ارتدى ملابسه وتأنق، هبط الدرج إلى حجرة الطعام. واستطاع، من بعد، أن يشم رائحة القهوة، وعندما وجد القدح مليئًا أخذ يحتسيه. كذلك شرب– وهو لا يعي ما حوله. كوب عصير البرتقال، ثم التهم قطعة من اللحم وبعض البيض وقلعة من الخبر الناشف وقدحًا آخر من القهوة. وتقبل جسمه هذا كله وتشربه وامتصه، وبعد أن تغذى واستدفأ نهض من كرسيه، ووضعه في مكانه، وسار عبر الحجرة إلى الصالة، ووجد قبعته ومعطفه. واستطاع في هذه اللحظة فقط أن يتبين أنه تناول وجبة كاملة طيبة. وتردد برهة ثم عاد إلى الباب.

وتطلع عبر الحجرة. وتملكته العادة مرة أخرى – عادة طفل مهذب

وصوت أمه يعلمه– يجب أن تقول دائمًا أشكرك يا سيدتي.

وقال:

–أشكرك.. أشكرك جدًا.. لقد استمتعت بالوجبة.

وذهل إذ سمع ضحكات متصلة، صافية وساخرة، عبارة عن مزيج من الفرحة والتأنيب.

– ستيفن.. ماذا دهاك؟

وتنبه.. واستعاد وعيه.. لقد كان في مواجهة زوجته هيلين التي يتناول فطوره معها كل يوم.

وسألته:

– أتعرف أين أنت؟

– بالطبع أعرف.

– قل لي أين أنت؟

وتلفت في أنحاء الحجرة وتعرف عليها.

– إني في المنزل... فأين سأكون؟

– إذن لماذا تتوقف على باب بيتك وتشكرني على الطعام؟ تذكر أنك رأيتني من قبل؟

وتنهد وشعر بالخجل ثم ضحك..

– ألا تغفرين لي؟

– ستيفن!

– لا أعرف لماذا تزوجتني؟

– كنت أريد.. هذا شيء فظيع.

– أمتأكدة أنت؟

– كيف أتأكد؟

وارتمت بين ذراعيه ثم انسحبت منهما، وهي تصلح رابطة عنقه، وتفرق شعره بسبابتها في رقة.

وقال متمتمًا:

– أكره أن أتركك..

فقالت:

– ولكن يجب أن تتركني.. إنني أعرف ذلك جيدًا.

وابتسمت له ابتسامتها الرائعة الجميلة.

بعد ستة شهور وفي منتصف الصف السادس في قاعة المؤتمرات كانت جين إيرل تجلس محشورة بين اثنين، يتصببان عرقًا، من الأوربيين الذين لم يعتادا على الجو الحار في أمريكا. وكان بيرتون هول يقف على المنصة يتكلم ويقول:

– إن العمل بالنيوترونات البطيئة سوف يسبب انقسام اليورانيوم ٢٣٥، والمشكلة هي أن اليورانيوم ٢٣٥ أقل من واحد في المائة من أية

عينة من اليورانيوم العادي. ومع ذلك فإننا نعرف الآن، والفضل لتكهنات "فيرمي"، أنه من المحتمل أن يمتص اليورانيوم ٢٣٨- وهو كثير ، بعض النيوترونات البطيئة. وعلاوة على ذلك فإن ذرة واحدة من كل مائة وأربعين في اليورانيوم ٢٣٨ هي عبارة من يورانيوم ٢٣٥. ونحن نعرف أن اليورانيوم ٢٣٥. سوف ينقسم بفعل النيوترونات السريعة وكذلك بفعل النيوترونات البطيئة. ولست بحاجة لأن أقول لزملائي العلماء ما يعنيه هذا. فإن عقولكم لتسبق عقلي بمراحل. نعم.. سوف نوجد الطاقة الذرية من انقسام اليورانيوم ٢٣٥ بالنيوترونات البطيئة، أو نوجد تفاعلًا متسلسلًا بالنيوترونات السريعة. وسوف يؤدي الأمر الثاني إلى انفجار، والسؤال الآن هل يمكن السيطرة على هذه الطاقة المتفجرة.

وحينئذ سمعت جين بجانبها صرخة ألم مكتومة. واختطف الرجل الأصلع منديله من جيبه وأخذ يجفف عرقه. ومال لكي يتحدث مع زميله الذي يجلس إلى يسارها وقال:

– هانز.. ماذا يجب أن نفعل مع هؤلاء الأمريكيين وهم يذيعون أسرارهم في كل مكان؟

– ربما أصبح الوقت متأخرًا الآن.

واعتذر كل منهما لجين.. ولكنها قالت:

– إنني مهتمة بما قلتما. هل تعتقدان أنه لا يجب أن تكون هناك مثل هذه المؤتمرات كتلك التي تعقدها الآن؟

– بكل تأكيد، لا يجب أن يكون هناك مزيد من هذه المؤتمرات.. إنها

خطيرة.

– أؤكد لك يا آنسة أن الألمان يعكفون في جد بالغ على صنع الأسلحة الذرية. فلماذا تجاهلوا السويد وذهبوا إلى النرويج؟ إن النرويج هي التي لديها الماء الثقيل الذي يحتاجونه.

وما إن فرغ بيرتون هول من حديثه حتى أسرعت إليه.. وعندما رآها على هذا النحو من اللهفة قال لها:

– ماذا هنالك؟

– حاولت أن ألحق بك قبل أن تهرب، لدي شيء أريد أن أقوله لك، قد يكون مهمًّا وقد يكون غير مهم.

– تعالى نتناول شيئًا من الشراب.

وتبعته في الجو الخريفي البارد.. الذي عدلت منه في ذلك اليوم أشعة الشمس الساطعة. وجذب بيرتون نفسًا عميقًا ثم آخر.. وأخيرًا قال:

– إنني أحب زملائي العلماء.. إنني أحبهم بعمق ولكن ما أسخفهم عندما يلقون الخطب!

– إنني لا أعرف لم تفعلون ذلك.. إنكم جميعًا سواء. وأنت تعرف ذلك، وأنتم لا تخدعون أحدًا ولا حتى أنفسكم.

ونظر إليها من قامته الطويلة، ولمعت عيناه الخضراوان بومضة مباغتة ثم سألها:

– متى تستسلمين؟

ولكنها تغاضت عن سؤاله هذا وقالت:

– إن ما أريد أن أقوله لك..

فقاطعها بقوله:

– إن ما أريد أن أقوله لك يا فتاتي الطويلة.. هو أنني أريد أن أنام معك.

ولم تأبه.. ولم تحاول أن تسأل نفسها هل هو جاد أم لا؟ إنها تريد أن تقع في الحب، ولكنها لم تحب بيرتون هول، وتجاهلت نظرته الملتهبة واستطردت:

– كان يجلس بجانبي اثنان من العلماء الأجانب، ولم يتفقا معك؛ لأنك كنت تناقش أمورًا يعتقدان أنه لا يجب ان تناقش هنا. وأشعر بأنه يجب عليّ أن أبلغك بذلك، بالرغم من أنك تعرف ما هي وجهة نظرهما.. عن إذنك.. لدي موعد على الغداء.

– مع من؟

– ليس هذا من شأنك.

قالتها في رقة، ثم تركته بغتة هناك في منتصف الممر.

ودخلت المطعم وهي تحس بشعور غامض بالذنب، فقد كان آباؤها يصرون على أن الكذب من الخطايا السبع، ولم يكن لديها أي موعد سوى الأمل.. الذي أنكرته.. في أن يكون "ستيفن كوست" هناك. فقد كان هناك في يوم من الأيام قبل أن تقابله. وكانت قد حضرت في ذلك اليوم

مع "توماس فريتز" العالم الألماني للكيمياء الحيوية.

وسألها "توماس فريتز":

– هل تعرفين هذا الرجل الجالس هناك؟

فنظرت.. ثم هزت رأسها. فأردف:

– إنه ستيفن كوست.. وأرجوك ألا تنظري إلى هاتين العينين لأنك ستجعلينني أشعر بالغيرة.. ولا أعرف ماذا سأفعل عندما أشعر بالغيرة، لأنني حتى الآن لم أجرب هذه العاطفة.

وابتسمت حينئذ ونظرت طائعة، وهي دائمًا تحذر مثل هذا الحديث من أي عالم، إنهم مثل الأطفال، وهي لم تجرب الحب. ومع ذلك لو لم تقابل "رامان" هل كانت ستصبح عالمة؟ سؤال لا يمكن الإجابة عليه.

وأجلست نفسها الآن إلى نفس المائدة الصغيرة التي رأت منها لأول مرة ستيفن كوست، وكان الوقت ظهرًا، وكان المكان نصف خال. ولم يكن هناك. وخلعت قفازها ونظرت إلى قائمة الطعام. كانت سعيدة لأنه ليس هناك. فلديها الكثير الذي تفكر فيه الآن دون تعقيدات أية عاطفة جديدة. إنها لا تريد أن تتورط.. كانت هذه أهم ضرورة لديها.

وقالت للجرسون:

– سمك وسلطة خضراء.. وأحضر لي قهوة الآن.

ثم أخرجت من حقيبتها كتابًا بعنوان "مدام كوري.. تاريخ حياة" وبدأت تقرأ فيه.. وبعد قليل سمعت صوتًا يقول:

– هل أجلس هنا؟

وتركت الصفحة التي كانت على وشك أن تقلبها، ثم أشارت بنظرها لتجد ستيفن كوست واقفًا يتطلع إليها عبر المائدة. فقالت:

– تفضل.

ثم أغلقت الكتاب، واستطردت:

– عادة ما أقرأ وأنا آكل، إنني سعيدة إذ أجد أحدًا أتحدث إليه.

فرد عليها بقوله:

– طالما إننا سنعمل معًا.. فمن الواجب أن نتعرف.. هل أمرت بإحضار الطعام؟

فأجابت بالإيجاب.. وحينئذ نادى الجرسون، وطلب منه أن يحضر بعض اللحوم المشوية مع بعض البطاطس المحمرة وفاصوليا خضراء وقهوة.

وشعرت بالارتياح.. فالآن وهو يجلس أمامها، ويمكنها أن تتطلع إليه، لم تعد تشعر بأي إحساس نحوه. إنه جميل الطلعة بكل تأكيد، وهي تحب العيون السوداء والشعر الأسود والبشرة البنية الرقيقة. وربما كان السبب في ذلك أنها قضت طفولتها في الهند، ولكن الالتصاق الخطير الذي شعرت به نحوه في أفكارها قد ارتعد. لقد كانت حذرة. إنه عالم شاب. موهوب جدًا.. وهي تعرف ذلك.. وقد قالوا لها جميعًا يجب أن تشاهدي ستيفن كوست الشاب.. وقد أصر بيرتون هول على أن يعمل في المشروع. ولكنها لا تشعر بأي شوق لأن تلمس يديه المتشابكتين على المائدة وهو

يرتكن عليها لينظر إليها.

وقال لها:

– إنني سعيد لأنك ستكونين معنا حيثما ذهبنا.

كانت ابتسامته صريحة رائقة، وكانت أسنانه بيضاء، ثم أضاف:

– أود أن تتعرفي على زوجتي هيلين. وآمل أن تصبحا صديقتين.

وجذبت نفسًا عميقًا.. لا.. إنها في مأمن.. ثم قالت:

– إنني أفضل أن أعرفها أكثر.

ثم أبعدت الزهرية التي تحتوي على ورود حمراء إلى جانب من المائدة. وأضافت:

– من بين مساوئ كوني عالمة أنه ليس لي إلا قليل من الصديقات.

فسألها في لهفة:

– أخبريني.. إنني جد شغوف.. كيف أصبحت عالمة؟ إنه شيء غير عادي بالنسبة لامرأة أن..

– يبدو كذلك.

وسقطت من إحدى الورود بعض أوراقها. وسحقتها بين أصابعها ولكن لم يكن لها أريج.

واستطردت تحكي قصتها:

- لقد ترعرعت في الهند.. كان أبي مهندسًا هناك، يعمل في القوة

الهيدروليكية. وذهبت إلى مدرسة إنجليزية، ولكن مدرسي المفضل كان شابًا إنجليزيًا هنديًا قدم لتوه من أكسفورد. وكان يدرس لنا العلوم، وأعتقد أنني كنت ذات دالة عليه. وكانت معظم الفتيات كذلك... ولكن هذا على الأقل، جعلني أعمل بجد من أجله. وفجأة تبينت أنني أحببت العلوم بغض النظر عنه، وانتهى بي هذا الأمر إلى دراسة الطبيعيات. ودرستها في "رادكليف"، وبعد ذلك مع "فيرمي" في كولومبيا. وقد كان هو وبيرتون هول صديقين.. واستعارني بيرتون هول لكي أعمل في المشروع هنا في شيكاغو.. حكاية بسيطة كما ترى.

فقال:

– إنني أرى أنك لست بسيطة.

وابتسمت له في حياء وقالت:

– كلنا كذلك.. إذا حشرت نفسي في الأخوة النبيلة.

وفجأة احمر ستيفن خجلًا وهو يقول معترفًا:

– إننا أصحاب عقلية منفردة. أتعرفين ماذا فعلت هذا الصباح؟ لقد كنت أفكر في معادلة عندما كنت أرتدي ملابسي، ونسيت كلية أين أنا.. وهبطت الدرج، وتناولت فطوري؛ ثم شكرت زوجتي على هذه الوجبة الطيبة، وقد انطبع في ذهني أنني سوف أتغدى في مكان ما. ومن حسن الحظ أنها فهمت كل شيء.

وشاركته ضحكته وشعرت بغصة. الزوجة التي تفهم كل شيء. ثم

قالت في هدوء وجد:

– إنك محظوظ.. فإن كل النساء لا يستطعن ذلك. وليس هذا من اليسير، ما لم يربط الواحد إلى الجماعة التي حوله.

وقال ستيفن:

– إنك أول امرأة عالمة أقابلها في حياتي.. فهل أنت تختلفين عنا لأنك مجرد امرأة؟ وهل يهم الجنس إلى هذه الدرجة حتى في العلم؟

فأجابت:

- سوف أترك لك هذا الأمر لتكتشفه.

ورأت في عينيه إعجابًا حذرًا فابتسمت له على غير إرادتها. وظهر الجرسون ومعه الطعام.. وبدآ يأكلان.. وفجأة قال ستيفن

– شيء واحد يضايقني.

– ما هو؟

– إنني ضد السماح باستخدام هذه... هذه الاكتشافات الذرية..

– أعرف... لا داعي لأن تذكر الكلمة كلها..

– في الحرب.

– هل أنت من دعاة السلم؟

– لا لست كذلك.. وهذا هو الشيء الغريب. إنني في الحقيقة واقعي. لقد تعلمت الملاكمة في يوم من الأيام في السر. كان أبي من رجال

الدين. إنني لا أريد لهذه القوة الجديدة أن استخدم في الدمار الوحشي. إنني أريد أن أخصص نصيبي فيها للتنوير ولخير البشرية.

– ولكن لم تخش أن تقول إنك تريد الخير ولا تريد الشر؟

فتمتم قائلًا وهو يهجم على قطعة اللحم المشوي أمامه مرة أخرى.

– تبدو شيئًا كبيرًا طنانًا.

– ليست شيئًا طنانًا.. إنها أمانة.

– أعتقد أنك على حق.. ولكننا هنا في أمريكا نخجل إذا بدونا أننا نعمل الخير.. إن هناك كثيرين من المدعين.

– لست مدعية.. وأنت تعرف ذلك. وهكذا الحال بالنسبة لي.

ومرة أخرى زحف الدفء الخطير على قلبها. وتطلع إليها ستيفن، وعندما تلاقت عيناها بعينيه تاه عقلها.. وقالت:

– لا أدري كيف أقول لك ماذا يعني أن يجد الإنسان في شخص مثلك – عالمًا – ويدعو للخير.. ويجرؤ أن يقول ما يشعر به كإنسان.

وشعرت أنها تحدثت كثيرًا.. وشعر ستيفن بالخجل.. وقال:

– ليس هذا نادرًا جدًا كما تعتقدين.

وسكتت ليستقر الصمت بينهما كستارة. ويجب عليه هو أن يقوم بالخطوة التالية.. فسألها بعد لحظة:

– هل قرأت تقرير "ماكميلان" و"أبلسون"؟

فقالت:

– نعم.. العنصر ٩٣ ولكن الشيء المهم هو أن هذا الاكتشاف واحد من سلسلة الاكتشافات.. لسوف نكشف عن عنصر بعد آخر في عملية سريعة من الخلق في السنوات العشر القادمة. لقد فتحنا صندوقًا من الأسرار.

وشعر كل منهما بالارتياح مرة أخرى. لقد خبا الدفء والعاطفة التي تملكتها.. إنها لن تقع في الحب. فشكرًا لله.

وفي المساء.. وفي بيته.. شعر ستيفن بذنب غامض، وتفحص ما في ذاكرته عما يحدث في أثناء النهار وتحول إلى زوجته وقال:

– على فكرة.. لقد تناولت غذائي مع هذه الفتاة الجديدة.

فسألته هيلين:

– أية فتاة؟ و

كانت في هذه الأثناء تقطع أوراق الخس من أجل السلطة.. وهذه مهمة بسيطة تمقتها كثيرًا.

وقال ستيفن:

– هذه العالمة الشابة..

فتمهلت قليلًا ثم قالت:

– تذكرت.. ولكن ماذا تناولت في الغداء؟

فأجاب:

- لحم مشوي..

فدارت حوله وقالت:

- كيف تجرؤ على ذلك؟ إنك تعرف أنني دائمًا أعد اللحم المشوي يوم الأربعاء للعشاء.. حتى يقويك بقية الأسبوع.

ونظر إليها ببلاهة وقال:

- هل اليوم هو يوم الأربعاء؟

فدقت بقدمها اليمنى على الأرض وقالت:

- بالطبع.. يوم الأربعاء..

فقال ستيفن:

- يا إلهي.. مرتان في يوم واحد أتصرف فيهما كالأبله.

ثم أخرجت الشواء وقربته منه حتى يشمه ثم أبعدته..

وقالت:

- لن نأكله، ولن أصنع السلطة.. يجب أن نتعشى "عجة" وبعض البطاطس المتبقية. وآمل أن تصبح بدينًا وقبيحًا حتى لا تتطلع إليك أية فتاة.

وأخذ ستيفن يفكر.. إن النساء يجب أن يكن في حالة انفصال عن الرجال مثل العناصر في المعمل. فهذه العناصر - وهي منفصلة- تكون

عبارة عن كتلة آمنة يمكن التحكم فيها، ولكن عندما تمتزج تحدث انفجارًا. ولكن هل جين إيرل امرأة فقط؟ ربما من الأفضل أن ينظر إليها على أنها كتلة معروفة، عالمة نقية إن لم تكن بسيطة. وفجأة شم رائحة البيض المحترق، واستمر يداعب زوجته ويهدئ منها.

وفي المكتب الصغير بجوار المعمل، واجه بيرتون هول هؤلاء العلماء الأجانب. وسألهم:

– ماذا أستطيع أن أفعل لكم أيها السادة؟

ونظر كل منهم إلى الآخر، وكل منهم يحاول أن يتجنب الرد على سؤاله.. ولكن "وينر" استطاع في النهاية أن يكسر هذا التردد ويقول:

– إننا نعرف مدى انشغالك.. ولقد جئنا إليك ونحن نتردد كثيرًا.. ولكننا نعرف أيضاً نفوذك الكبير في واشنطن.. فلو تفضلت واتصلت بالرئيس.. وكان يعرف ماذا يريدون.. إنهم أكثر الناس تصميمًا.. وأكثرهم صلابة. وقال:

– أيها السادة.. إنني لا أستطيع أن أسير إلى مكتب الرئيس...

وقاطعه زيجني قائلًا:

– لا.. لا.. إننا لا نطلب ذلك. ربما يجب أن تذهب أولًا إلى العسكريين؟

فقال بيرتون:

– إنني كعالم. لا صلة لي بالعسكريين.. إنها مسألة كرامة بالنسبة لنا.

فتدخل زيجني يقول:

– إنك إذا كتبت خطابًا فسوف أطلب من فيرمي أن يأخذه بنفسه.

فقال في قوة:

– إن فيرمي ليس في حاجة إلى خطاب مني.. إن كل واحد يعرفه.

ثم إنه وقد شعر بالضيق وافق على أن يكتب الخطاب، ونادى سكرتيرته، وأخذ يملي عليها صيغة الخطاب:

– إن احتمال التفاعل في الطاقة النووية مؤكد الآن. ولكن بقيت التجربة فقط، حتى يمكن التحكم فيها قبل أن تصنع القنبلة الذرية.

ثم وجه كلامه إلى السكرتيرة:

– لا.. لا.. اشطبي ذلك واكتبي: "إذا استخدم اليورانيوم كمتفجر.. فسوف يفجر طاقة في الرطل تعادل ملايين المرات الطاقة التي يفجرها أي متفجر معروف.. وأشعر أنه بينما تقف كل الاحتمالات في معارضة ذلك.

وهنا نهض زيجني ليقول:

– لا.. إن الاحتمالات ليست ضد ذلك. إننا نعلم أن جوليوت كوري في فرنسا وكذلك العلماء الألمان يعملون في انشطار نواة الذرة حاليًا.

ونظر بيرتون إلى سكرتيرته وقال:

– أين كنت؟

ثم أخذ يكمل الخطاب وأمرها أن تنسخه على الآلة الكاتبة.. ثم تحول، بعد أن خرجت السكرتيرة، إلى ضيوفه وقال:

- هل قرأتم ما كتبه ماير "وانج" في العدد الأخير من "فيزيكال ريفيو"؟

وأومأ الجميع. ثم قال زيجني:

- نيوترونات متأخرة.

وانبرى على الفور بيرتون هول يقول:

- هذا يعني أن أمامنا حدًا للتحكم قبل الانفجار.

وصفق "وينر" في هدوء وأضاف:

- بالضبط.. ولنأمل أن يكون النازيون لم يكتشفوا ذلك أيضًا..

فتأوه زيجني وقال:

- يا لسخف مثل هذا الأمل.

وبعد ذلك بثلاثة أسابيع.. وافق بيرتون هول على ما قالوه. لقد وصل ضمن بريد الصباح رد من واشنطن يقول:

- إننا نقدر اهتمامكم بقضية العلوم الذرية.. ولكن..

وفي حالة من الغضب والهياج.. قفز بيرتون هول من فوق كرسيه، وأخذ يسير في القاعة.. والخطاب المفتوح يتطاير في يده، ليجد " ستيفن في المعمل. وصرخ في وجهه.

– استمع إلى ذلك..

وأخذ يقرأ الخطاب في صوت مزمجر، وكان يهدأ في بعض الفقرات، ليركز على كل مقطع، وبعد ذلك مزق الخطاب.. وألقى بنفسه على كرسي عال في المعمل وتنهد وهو يقول:

– إن هؤلاء العلماء الأجانب على حق.. إنهم على حق دائمًا.

ثم سأل ستيفن في عصبية:

– أتعرف ماذا قال الأدميرال في واشنطن؟

فقال ستيفن:

– كيف أعرف وأنت لم تبلغني بشيء؟

فقال بيرتون:

– لقد أبلغ فيرمي.. أنريكو فيرمي العظيم.. ويمكن أن أقول إنه أعظم من أينشتين في بعض الوجوه – في الطرق العملية – أي في العلم التطبيقي. فهو ميكانيكي من الدرجة الأولى، وهي أيضًا عبقرية علمية. فهو يستطيع أن يصنع الأدوات التي يحتاجها عندما يريد ذلك– وهو يعرف ما يريد تمامًا.. لقد أوضح فيرمي لهؤلاء الحمقى.. أنه من الممكن الحصول على الطاقة الذرية من الانقسام بالنيوترونات البطيئة، ويمكن أن نصنع قنبلة ذرية بالنيوترونات السريعة.. وقد قال هؤلاء لفيرمي: إن الحرب تمضي على ما يرام، وعلى أية حال، فإن هذه الأسلحة العملية الجديدة لا يمكن الحصول عليها في حينها. إننا نتوقع النصر قبل مضي فترة

طويلة– له كما لو أن النازيين لا يصنعون الخطط لنسفنا جميعًا. في ظهيرة الغد إن أمكن ذلك.

ودق التليفون، واختطف بيرتون هول السماعة. وكان صوت زيجني يتردد عبر الأسلاك.. وأجفل قليلًا ثم أبعد السماعة مسافة ثلاث بوصات عن أذنه، ثم سمعه يقول:

– نعم. أعرف.. وماذا أستطيع أن أفعل. اذهب مباشرة إلى الرئيس، ولكن كيف؟ إن حوله كثيرون.. وجميع الأقطاب في واشنطن أو تمبكتو.. وهم يعرفون فقط ما يبلغون به. ربما. قد يكون أينشتين. ولكن دعه يبلغ الرئيس أن الانقسام لن يسير فحسب سفنه الكبيرة.. ولكن هذا الانقسام سوف يصنع القنابل... والقنابل الرهيبة. فقنبلة واحدة يمكن أن تنسف ميناء نيويورك، وأبلغه أن النازيين يعرفون ذلك. أو اكتب كل هذا في خطاب.. في شيء يقرأه... إنه لا يستمع إلى صوت أي إنسان سوى صوته هو.

وألقى بسماعة التليفون ثم تأوه بصوت عال وهو يقول:

– زيجني مرة أخرى، يريد أن يذهب أينشتين مباشرة إلى البيت الأبيض

وأنت تعرف أن أينشتين يتحدث برقة بالغة، حتى إنه لا يمكن أن يذهب بشخصه، وبالإضافة إلى ذلك فإن إنجليزيته غريبة. إن الإنسان يجب أن يستمع إلى لهجته بدلًا من أن يستمع إلى ما يقوله، ومن الأفضل أن يكتب كل ما يريد. يا إلهي.. يا لضخامة الأموال التي لابد منها لإنجاز هذا كله.

وسأله ستيفن:

– من أين ستأتي هذه الأموال؟

فرد عليه بيرتون:

– ممن ستأتي سوى من الحكومة؟ فليس هناك من لديه ما تريده من أموال..

فقال ستيفن الذي يحترم المال ولكنه يحاول أن يتجاهل ذلك:

– تعني ملايين الدولارات؟

فأجاب بيرتون هول في غيظ:

– بل بلايين الدولارات.

وساد بعض الصمت الذي قطعه ستيفن بقوله:

– لا أستطيع أن أفكر في بلايين الدولارات.. فقط أفكر في بلايين الذرات.

فرد عليه بيرتون في عدم اهتمام:

– نفس الشيء.

ثم نظر إلى ساعته وأضاف:

– لقد حان وقت العشاء.. إن مولي تنتظرني.

ثم انزلق من فوق الكرسي، وسار خارج المعمل.. وانغمس ستيفن يفكر لمدة خمس عشرة دقيقة كاملة، وأخرجه من هذا التفكير فجأة فتح الباب الذي يؤدي إلى المعمل المجاور، ورفع رأسه. كانت "جين إيرل" تقف

هنالك في معطفها الأبيض. وواجهت عينيه المحملقتين ثم تراجعت إلى الوراء، وأغلقت الباب برقة. ومع ذلك تبعثرت أفكاره، ونهض وأخذ يبحث عن حقيبته.. وتوقف ليتفحص رغبة مباغتة اكتشفها في تلك المناطق التي نادرًا.. ما يكتشفها داخل نفسه، رغبة مباغتة في أن يفتح الباب مرة أخرى.

وهز رأسه. وقال لنفسه: إنه من الافضل ألا يفعل.. ولكن لم تعمل هنا في المعمل المجاور لمعمله؟ ومن أمرها بذلك؟

ووراء هذا الباب المغلق كانت جين إيرل تواصل تجربتها الجديدة، ظلت تعمل طيلة ساعتين كاملتين، ثم سجلت النتيجة في مذكرة بخطها الصغير المنمق. وقالت لنفسها "يبدو واضحًا أن سيبورج وماكميلان وكنيدي و"وال" على حق، ومن المحتمل أن يكون البلوتونيوم هو المادة التالية للتجربة.

وأغلقت المذكرة، وخلعت معطفها القطني الأبيض الطويل، وأخذت تمشط شعرها. ثم خرجت لتناول الغداء. وتركت المطعم الذي قابلت فيه ستيفن، وذهبت إلى مكان آخر، وجلست في الكرسي الخالي الوحيد وطلبت لبنًا وبعض الساندويتشات.

إنه بناء على حافز ودافع خطير طلبت أن تنقل إلى معمل "ب" على رغم – ولتكن أمينة مع نفسها على الأقل – أن المفاتيح الكهربية ذات فولت أقوى من تلك التي توجد في المعمل الذي عينت فيه أولًا.. ولكن السبب الحقيقي، وهو مختلط بالدافع العاطفي، هو أن ستيفن يعمل في

معمل "أ". إنها تسمح لنفسها بالحمق مرة أخرى. كما لو أنها لم تع الدرس بمرارة في الهند. فالعيون السوداء التي تطل من وجه رجل، وجسم الرجل القوي الرشيق، والعقل المتألق الذي يتحدث بلغة تدركها وتفهمها، كل هذه الأشياء أقسمت هي أن تقاومها في الهند، وفي أي مكان آخر في العالم. وبينما هي تذكر ذلك في غضب.. فتحت الباب ورأت ستيفن كوست وبسرعة..أغلقت الباب مرة أخرى.

وهمست من بين أسنانها. إنني لحمقاء. ولكن هل هي حمقاء لأنها فتحت الباب أم لأنها أغلقته مرة أخرى؟ وقالت لنفسها لا داعي للسؤال ومن ثم لا داعي للإجابة. وتغلبت على أفكارها العنيفة، وطردتها كما تطرد أعداءها، ثم عادت إلى أصدقائها العاديين، الذرات، هذه الوحدات التي لا ترى ولا يمكن رؤيتها من وحدات الحياة، والتي بكمياتها الهائلة وطاقاتها أوجدت الكون. لقد أصبحت مخلوقات حية في خيالها؛ كل منها يحتوي على عالمها كاملًا داخل نفسها. وقد أصبح واضحًا الآن أنها إذا تحركت وهي متحدة تجاه نقطة انفجار حرارية، فسوف تخرج منها قوة لم تعرف من قبل. إنه التفاعل المتسلسل.. إن النيوترونات السريعة سهلة ولكن عندما لا يمكن التحكم فيها فإنها قد تنسف الكرة الأرضية كلها. لابد أن يكون هناك تحكم فيها وسيطرة عليها. وترددت هذه الكلمة في أغوار عقلها كقرع الأجراس.

وفي طريقها إلى خارج المطعم اشترت إحدى الصحف. واسترعت انتباهها العناوين، ووقفت عند الباب تقرأ "واشنطن في ٢٤ أبريل – إن علماء العالم في سباق دولي اليوم، لحل لغز سوف يسفر عنه انفجار تعادل

قوته مائة مليون مرة قوة .ت. ن. ت. أو أي متفجر آخر معروف، وأي حل سريع للمشكلة قد يؤدي إلى النصر في الحرب. والمعروف أن علماء الطبيعة في بريطانيا وفرنسا وألمانيا يعملون جاهدين لحل هذه المشكلة. وكذلك يفعل علماء الطبيعة في الولايات المتحدة، ومن حسن الحظ أن علماء الطبيعة الأمريكيين في المقدمة. والمتفجر الجديد الذي قد يكون أيضًا الرد على السعي إلى انطلاق الطاقة الذرية وتحررها، إنما يتعلق بالنظائر المشعة لليورانيوم. فأقل من واحد في المائة. من عينة من اليورانيوم العادي يحتوي على هذه النظائر. والنجاح الذي حقق حتى الآن حدث في جامعة كولومبيا، حيث ترقد على شريحة من الزجاج كمية صغيرة جدًا لا يمكن أن تراها العين المجردة". ثم طوت الصحيفة ومضت في طريقها وحدها.

قال بيرتون هول:

– إن ما يجب أن تتذكره يا ستيفن هو الفرق بين فكرة الألمان من التقدم وبين فكرتنا..

فرد عليه ستيفن قائلًا:

– فكرة غريبة عن التقدم. الدمار التام . ولا أستطيع أن أقول إننا أفضل منهم، فالخطط التي نضعها والأهداف التي نرمي إليها تتشكل كلها لتخلق سلاحًا يستهدف إفناء البشرية. كان كل منهما قد قابل الآخر على قمة الدرجات الرخامية

لسلم الجامعة، حيث ذهب كل منهما بمفرده ليستمع إلى محاضرة

"أتريكو فرمي" عن الأشعة الكونية. وكان بيرتون هول قد قال لستيفن في أسف:

– ما يزال هذا الرجل الصغير يعرف أكثر من أي واحد منا. وأجاب ستيفن:

– إني لأعجب هل يعرف كيف يمكن أن يحدث التفاعل الذري. واقترح بيرتون هول "لم لا تسأله؟" فقال ستيفن:

– لو كان على استعداد فأعتقد أنه سوف يقول..

ومن هذا الحديث المتقطع وصلا إلى السلاح ذاته. وجال فكر بيرتون هول احتمال أن يكتشف النازيون السر. وقال ستيفن:

– إذا حصلوا على السلاح.. فسوف يستخدمونه في خلال شهور قليلة، ولتكن أربعة شهور، وفي هذه الحالة سوف يتخلى بقية العالم عن كل أمل. فقال بيرتون هول:

– لا ترع.. وسارا معًا فوق الأرض المليئة بالحشائش الخضراء بين الأشجار الظليلة التي كانت تتسلل بينها أشعة الشمس، ثم واصل بيرتون هول حديثه:

– إن الهدف النهائي هو نفس الهدف، السلام ومنتجات السلام. إننا جميعًا نقدر السلام ونعرف أننا نستطيع في ظل السلام أن نعيش في راحة وسعادة. لذلك فإن العلماء يحطمون أعداءهم، أو أعداءهم الأقوياء على وجه الخصوص، حتى يستطيعوا أن يتطوروا بعد ذلك ويتقدموا في سلام

وطمأنينة.

وسأله ستيفن:

– ونحن ...؟

فأجابه بيرتون هول قائلًا:

– إننا معشر الأمريكيين نصنع الأسلحة من أجل الدفاع لا من أجل الدمار. كذلك فنحن نريد السلام، السلام الذي نستطيع أن نتقدم فيه ونتطور، ولكننا لا نستطيع أن نوجد حولنا صحراء حتى نكون في مأمن. إننا فقط نحصل على الأسلحة، وليعرف بقية العالم أننا نملك هذه الأسلحة.

وسأله ستيفن:

– أتعتقد أننا لن نستخدم القنبلة أبدًا؟

فأجابه بيرتون هول في صراحة:

– سواء استخدمنا القنبلة أم لم نستخدمها، فإن هذا لا يعني أننا لا نستطيع أن نصنعها. يجب أن نصنعها وبأسرع ما نستطيع.

وسارا في صمت برهة قصيرة.. حتى أوشك كل منهما أن يمضي في طريقه، ثم توقف ستيفن ليقول:

– ماذا تريدني أن أفعل؟

فنظر إليه بيرتون هول:

– أريدك أن تدرس هذا الموضوع، وتكتب تقريرًا بذلك. أريدك أن تخبرني هل يمكن لليورانيوم العادي أن يحدث تفاعلًا متسلسلًا هل يمكن أن تفعل ذلك؟

ولم يجب ستيفن لفترة.. ثم قال، وهو لا يستطيع أن يرفع عينيه المتعبتين:

– أتعشم ألا تطلب مني أن أعمل في هذه الأسلحة.

فقال له بيرتون هول:

– إنني في حاجة إليك.. فليس هناك من يجمع بين بصيرتك

ودقتك. فالشخص الذي يستطيع أن يقيس الأشعة الكونية على عمق ألفين وخمسمائة قدم تحت الأرض في إحدى المناجم.. ويقيسها بدقة رائعة.. هو شخص أريد منه أن يخبرني ماذا يمكن أن نفعله باليورانيوم، إنني اعتمد عليك جدًا يا ستيفن.

فقال ستيفن:

- سوف أفعل ذلك.

– فرد عليه بيرتون هول قائلًا:

– إذن لا داعي لأن أذكرك، فعندما تكون على استعداد، يمكنك أن تكتب تقريرك.

فأومأ ستيفن، وسار في طريقه. كان الليل قد أسدل ستائره على الكون، وفوق البحيرة كانت السحب تتجمع في الأفق سوداء ثقيلة. ورأى

من بينها وميض برق ينبعث، وبعد ذلك سمع زئير الرعد.

وفي الساعة الرابعة من صباح الليلة ذاتها.. دق جرس التليفون بجوار سرير جين إيرل ثلاث مرات، واستيقظت على الفور، وكان على الجانب الآخر بيرتون هول، وقالت وهي تمسك بسماعة التليفون:

– نعم يا بيرت ماذا تريد؟

وسمعته يقول:

– إنني متضايق وفي حيرة.

فسألته:

– ماذا حدث؟

فقال لها:

– إن هذا هو ما يضايقني، فلا شيء يحدث، وعلينا أن نتلقى إشارة المضي في العمل من أعلى. إن هؤلاء الذين وفدوا من أوروبا على حق.

وضحكت ثم قالت له:

– عم مساء..

ووضع سماعة التليفون وظل مستيقظًا حتى الفجر، لا يفكر في أحد، ولكن المعادلات كانت تزحف متتابعة على عقله. إن التفاعل المتسلسل ممكن والتفجير شيء لا مفر منه، ولكن ماذا عن التحكم في هذه الأسلحة. لقد سألته هذا السؤال كثيراً وقد قال لها:

– إن الجرافيت هو الذي يستطيع ذلك، وهو أفضل من الماء الثقيل الذي يستخدمه الألمان. وقد سألها:

– ألا يهمك أن تتسخ يديك، فالجرافيت أسود مثل الفحم. وقد أجابته آنذاك:

– كم مرة رأيت فيها يدي متسختين؟

وضحكت حينئذ دون أن تجيب. لقد ضحت بيديها الرقيقتين الجميلتين كما ضحت بنفسها، ولكن لأي شيء. لهذا الشغف والتطلع الأزلي الذي جعل منها عالمة بالرغم من أنها امرأة. ولم تكن تعرف أبدًا هل يستحق العلم هذه التضحية.

الفصل الرابع



وفي يوم من أيام سبتمبر.. وفي البيت الأبيض.. كان الرئيس الكبير ينظر عبر مكتبه إلى الشخص الصغير المتكور قبالته، وأشعل سيجارة جديدة ثم وضعها في "مبسم" السجائر، ثم وضعه في ركن من فمه، وأخذ ينصت للصوت الخافت الذي يحدثه عن الدمار الشامل والكوارث التي لا حد لها، وكان الجو حارًا، وقال الرئيس للرجل الذي يجلس أمامه:

- اخلع معطفك.

وهو الرجل الصغير رأسه، وأخذ يعتذر للرئيس، لقد استغرق وقتًا طويلًا وهو يأسف، ولكن هذه التي يقولها حقائق هامة، ويأمل أن يتم شيء من أجلها، وفي الوقت المناسب.

وحملق الرجل الذي يجلس إلى المكتب، وهو طويل بدين أنيق إلى العالم الأسمر الصغير، وقال:

- إذن كل شيء يتكون من الذرات.

فأومأ الرجل الصغير موافقًا.

- ومم تتكون هذه الذرات؟

- من مقذوفات كهربية يا سيدي.

– وما هو الفرق بين الكهرباء والمغناطيسية؟

– إنهما مظهران لنفس القوة.

ومضى الحديث بينهما على هذا النحو، وفجأة قال الرجل الكبير:

– أتمنى أن أكرمك، ولكن مهمتك قد تحققت وسوف أبدأ العمل.

فنهض الرجل الصغير، وانحنى بطريقته الأوروبية، وقال بصوته الرقيق:

– أشكرك يا سيدي، أشكرك جدًا.

ثم انحني مرة أخرى واستدار، وفتح الباب وأغلقه خلفه في هدوء، واسترخى الرجل الكبير قليلًا في كرسيه، وفجأة زحف على وجهه شعور بالخوف، وأخرج ورقة من مكتبه، وأخذ يقرأها وهو يكاد يمضغ "مبسم" سيجارته".

مند عامين غزا الألمان بولندا، واستطاعت الدبابات الكبيرة والطائرات أن تصنع لها ممرات عبر غربي بولندا إلى وارسو.

وبينما كانت المعركة دائرة في شوارع المدينة هاجمت الدبابات الروسية، بناء على خطة سابقة، من الشرق. وبعد ذلك بشهر واحد تقابل الجيشان، وانقسمت بولندا إلى قسمين: قسم خاص بروسيا وقسم خاص بألمانيا، إذن كان هذا العالم على حق. ليس هناك وقت نضيعه، بل إن هناك طريقًا طويلًا يجب أن نسير فيه، والمشكلة هي أن نجد الرجال. دائمًا، مشكلة الرجل المناسبة للوظيفة المناسبة.

لقد كان هذا العالم يتنبأ، ولم يكن الرئيس يستطيع أن يمضي تحذيراته،

إنه مضطر لأن يستمع إلى هؤلاء العلماء مهما يكن ما يفعلون، وتنهد الرجل الكبير.. ثم تحدث إلى سكرتيرته قائلًا:

– قولي لهاري أن يأتي إليّ. إنني أريد أن أتحدث معه.. أو أسمعه يتحدث إليّ، وقولي لزوجتي إنني لن أحضر على العشاء.

وكانت سيجارته قد احترقت، فأشعل سيجارة أخرى، وأخذ ينفث دخانها في عنف وعصبية.

في هذا الوقت كان ستيفن كوست في مكتبه الصغير، ينهي تقريره الذي طلبه منه بيرتون هول، وكان قد فحص المعادلات والتقديرات مرات كثيرة. ومع ذلك فإن النتائج التي توصل إليها كانت أبعد عن أن يوثق فيها، فالعقل يستطيع أن يتخيل ويتصور. ولكن ومضات التبصر التي تتضح في أرقام المعادلات.. يجب أن تتأكد عن طريق قياس نوويات الذرات بطريقة فيزيائية، وهو لا يريد، وليست لديه الشجاعة لأن يقيس هذه النوويات الذرية، فالقوة التي ما زالت تكمن داخل النواة.. التي لا ترى في الذرة شيء يفضل ألا يفكر فيه، ولا يكون مسئولًا عن تفجيرها وإطلاقها في عالم الإنسان. وجلس مكتئبًا متألمًا أمام الصفحات التي سجل فيها معادلاته بخط دقيق صغير. إنه يفضل لو كان شيئًا آخر غير أن يكون عالمًا ولكن أباه؛ هذا الرجل الصامت من رجال الأعمال، لم يحذره، أما أمه فكانت فخورة به عندما حصل على منحة لجامعة هارفارد، لم يكن في حاجة إليها. من كان هناك يحذره من الدمار المقبل؟؟ كان طفلًا يلعب بأعواد الكبريت.

وبينما هو في أفكاره هذه تردد في مسمعه.. صوت نسوة يمتزج بموسيقى صاخبة. ما الذي دهي هيلين حتى تقيم حفلًا للنسوة فقط في ذلك اليوم من بين الأيام كلها، إن هذا شيء لم يدركه، ففي الساعة الثالثة من بعد الظهر.. امتلأ المنزل بالنسوة، وبدلًا من الهدوء الذي لابد منه وهو يعتصر عقله حتى يخرج ما فيه.. ويعبر عنه بمفاهيم النسبية.. اضطر أن يقنع أو يرضى بثرثرة النسوة في الحجرة المجاورة. ووضع القلم وقد نفذ صبره، وأخذ يفكر في شهر العسل، وفجأة تبلورت أفكاره المتناثرة على صوت هيلين الضاحك الرائق. وهي تقول:

– أهلًا جين، دعيني أناديك باسم جين.

فقالت المرأة الأخرى..

– إن كل واحد يناديني باسم جين.

وتذكر هذا الصوت الهادئ، ثم سمع زوجته تواصل كلامها وتقول:

– هل تفهمين يا جين حقًا نظرية أينشتين عن النسبية، لا داعي للكذب. إننا كلنا نسوة، ولن نقول لأحد. كان ذلك شيئًا فظيعًا من هيلين. لقد برهنت على ما بدأ يشك فيه هو، وهو أنه مهما تكن عاطفتها وحبها إلا أنها قادرة أيضًا على الشر والتعذيب، تعذيب نفسها وتعذيب الآخرين، ولكن من تعذب الآن؟ أتعذب جين أم تعذب نفسها. إنه لا يعرف بالضبط. وكبح جماح نفسه ورغبته في أن يقفز من فوق كرسيه، ويواجهها في حضور كل صديقاتها، ولكنه بدلًا من ذلك أخذ ينصت إلى رد جين، ودهش وهو يسمعها تضحك، وعندما سمع هذا الصوت الرقيق

العذب استيقن أنه لم يسمع ضحكتها من قبل.

وقالت جين:

– كيف أستطيع أن أجيب على مثل هذا السؤال؟ فإذا قلت إنني أفهمها فسوف تكرهونني، وأنا أريدكم أن تحبوني. لذلك أقول إن أينشتين قد دفع بنا إلى خطوات أعمق لتفهم عالمنا، وربما يكون قد ألقى ببعض الضوء كدليل يرشدنا إلى عالم أبعد من عالمنا، وأعني حسب مفاهيم الميكانيكا، وأحب أن أقول أيضًا إن أينشتين يحاول دائمًا أن يبسط الروابط المعقدة لكل شيء موجود، ويضعها كلها في مجال واحد كما يسميه، فالزمن والبعد والكتلة هذه هي المواد التي يستخدمها، وهذه تؤدي إلى كل شيء طبيعي، والكتلة تعني الوزن أو مقاومة الحركة، وقد أدرك أينشتين أن النسبية بين هذه الأشياء الثلاثة تثبت أن هذه الكتلة أو المقاومة ليست غير متغيرة كما كنا نعتقد، ولكن وزنها يزداد مع ازدياد السرعة وهذا شيء نسبي للمشاهد.

وتدفق الصوت الحبيب إلى أن سكت فجأة، وكانت نبرات صوت هيلين تداهمه مثلما يقطع السيف الحرير، فقد قالت لها هيلين:

– إنني أكاد أفهم ما تقولين، ولكن خبريني هل تفهمين ما يفعله زوجي؟

وتساءل بينه وبين نفسه: لم تستخدم هذه الكلمة الآن "زوجي"، لقد كان دائمًا بالنسبة لها ستيف.

وترددت جين برهة ثم قالت:

– لست على يقين من أنني أعرف بالضبط ماذا يفعل في هذه اللحظة. إننا لم نتحدث..

يا للسماء! إنها تخبر هيلين في رقة بأنها لم تقابل هذا الزوج في الفترة الأخيرة، والحق أنه لم يقابل جين منذ شهرين، كما لم يفكر فيها. واستمر ينصت ليسمع زوجته تقول:

– ألم تتحدثي معه حقًا؟

– لم يحدث في الفترة الأخيرة يا مسز كوست.

- ألا تناديني باسم هيلين؟

– إذا رغبت في ذلك.

– ولكن حدثيني عن هذا اليورانيوم. إنني غبية.

– إنني على يقين من أنك لست غبية.. ماذا أقول لك؟

– أي شيء تعتقدين أنني أستطيع أن أفهمه.

– إن هناك الكثير الذي يمكن أن يقال، ومع ذلك فقليلًا ما نعرف، وأعتقد أن هذا ما يعكف عليه دكتور كوست.

– ألا تنادينه باسم ستيف؟

– لا.. ترين أن خام اليورانيوم الطبيعي كما يخرج من المناجم لا يمكن أن ينفجر بطريقة ذرية.. إحدى نظائر اليورانيوم يمكن أن تفجر وهي يورانيوم ٢٣٥. إنه شيء يشبه السحر وهو نادر من بين نظائر العناصر

الاثنين والتسعين الموجودة في الطبيعة، فهذا العنصر ينشطر عندما يقدف بنيوترونات بطيئة حسب معلوماتنا حتى الآن، وإذا لم نستطع أن نفصل اليورانيوم ٢٣٥ بطريقة نقية.. فإننا لا نستطيع أن نحصل على الطاقة التي تحتاج إليها مهما يكن سبب حاجتنا إليها.

فقالت هيلين:

–أتعنين الأسلحة؟

وعلى الفور نهض ستيف لينقذ جين من هذه الورطة. فلم يكن هناك أحد بعد على يقين من أن الأسلحة يمكن أن تصنع أو يجب أن تصنع؟ فلكي نفجر عن طريق الانشطار جزءًا من اليورانيوم.. فلابد أن تنقسم عديد من الذرات في الوقت نفسه. والنيوترونات هي الحل بالطبع كما اكتشف فيرمي. فإذا أدى الانشطار نفسه إلى إطلاق النيوترونات.. فإنها يمكن أن تولد انشطارًا مرة أخرى.. ومن ثم يكون هنالك تسلسل يربط الانشطار بالآخر.

لم يكن هذا حديث امرأة.

وذهب ستيفن إلى حجرة المعيشة، ووقف ينظر إلى الجميع، ورأى بينهن مولي زوجة بيرتون هول، وقال لنفسه: هل ستبلغ بيرتون هول بما قالته جين. أم إنها من الغباء بحيث أنها لم تفهم ما قالت جين؟ ووجه كلامه إلى جين قائلًا:

– هل أستطيع أن أطلب كوبًا من الشاي؟

وتقابلت عيناه بعيني هيلين المتحديتين وفي أدب بالغ مر على النسوة يصافح كل منهن ثم جلس أخيرًا بجانب جين وقال لها:

– لقد انتهيت من تقريري، وإذا استطعت أن تسمحي لي.. فإنني أحب أن أناقش معك بعض النقاط قبل أن أسلمه فقالت:

– بالطبع.

وفجأة تقابلت عيناه مع عيني هيلين المسددين إليه، ورمقها بنظرة فتحولت بعيدًا عنهما. وانتصف الليل وهو ما زال يتحدث إلى جين، وكانت هيلين قبل ذلك بساعتين قد قرعت الباب نصف المفتوح وقالت:

– إنني ذاهبة لأنام يا ستيف.

فقال:

– سوف ألحق بك حالًا..

وتقدمت منهما، وعلى غير توقع قبلت جين على خدها، وقالت:

– عمي مساء يا جين.

– أشكرك يا هيلين.

– علام؟

– على القبلة...

– إنني لا أقبل الناس كثيرًا.

ثم مضت هيلين في طريقها، وعاد ستيفن وجين إلى حديثهما مرة

أخرى، كما لو أنها لم تكن بينهما منذ مدة.

– أليس لديك أي شك الآن في أن القنبلة يمكن أن تصنع؟

فأجابها:

– بلى.

وقضمت شفتيها وهي تقول:

– إن هذا يعني أن أية دولة تستطيع أن تدمر أية دولة أخرى.

– إنني أخشى ذلك.

– هل نستطيع أن نتحكم في المواد الخام ونشرف عليها؟

– إن هناك يورانيوم في كل مكان. وربما يكون هناك ثوريوم أيضًا، وهذا بعيد عن إشرافنا.

– ليس هناك علم يمكن التحكم فيه. إننا نستطيع أن نحتفظ بالسر لبضعة شهور أو سنين وليس أكثر من ذلك.

– إن عقول الإنسان لا يمكن أن تتوقف.

فتنهدت بعمق وقالت:

– أهذه نهاية البشرية؟

– إنني أرفض أن أتقبل ذلك.

– ولكن يبدو أنك تتألم بشكل عميق.

– إن كل إنسان عاقل يجب أن يكون كذلك.

– نعم..

وساد الصمت بينهما لحظة وقطعته أخيرًا بقولها:

– إنني أشعر بأنني مسئولة كامرأة. كنت أود ألا أكون بمفردي هكذا.

– إنك في هذه اللحظة عالمة فقط، وليست المسألة في أنك امرأة وأنا رجل.

– فيما عدا أنك تنتسب إلى نصف الجنس البشري.. وأنا النصف الآخر، والنصف الذي تنتمي إليه يقظ ويعمل، أما النصف الذي أنتمي إليه فنائم، يلد الأطفال ويدير البيوت – الكل نائم. وبعد ذلك يلقي بالأطفال إلى نيران الانفجار الذري، وتتقوض البيوت وتصير رمادًا فكيف أوقظهن؟

وتلألأت الدموع في عينيها، ثم تدحرجت في بطء على خديها، ولم يستطع أن يتحمل أن يراها تبكي بهذا الألم، ولم يجرؤ على أن يربت عليها، ليهدئ منها، لكنه بدلًا من ذلك تحدث إليها في هدوء ودعه قائلًا:

– أليست هذه الدموع سابقة لأوانها؟؟ إن ما نتحدث عنه قد لا يحدث مطلقًا.

– يجب أن نجعله لا يحدث.

ونهضت.. ومدت إليه يدها فاحتواها بيده، وشعر بأنها دافئة ترتعش. شعر بذلك لبرهة وجيزة، فقد افترقا بعد قليل، ورآها وهي تركب عربتها الصغيرة.

وعندما صعد إلى أعلى كانت هيلين نائمة، أو هكذا اعتقد.. كانت تنام على جانبها الأيمن ولم تتحرك.. ثم إنه لم يوقظها.. ورقد بلا نوم في سريره، إن جين على حق، يجب ألا يدع ذلك يحدث.

وفي اليوم التالي.. ذهب إلى بيرتون هول وقال له:

– ها هو التقرير. لقد انتهيت منه ليلة أمس.. وراجعته مع "جين إيرل". وقد اتفقنا على أن التفاعل المتسلسل ممكن كلية. وقد يكون التفجير الذي يولده أبعد من سيطرتنا. ولكن التجربة هي التي ستحدد ذلك.

وسأله بيرتون هول:

– ولكن ماذا نستخدم من أدوات لكي نخفف من ذلك؟

فأجاب ستيفن:

– لقد قدمت عدة اقتراحات في التقرير. وأعتقد أن الجرافيت الذي قال به "فيرمي" هو أفضل شيء. وهو كذلك أبسط وأسهل من الماء الثقيل أو أي شيء آخر. فهمهم بيرتون هول وهو يقول:

– مهمة دقيقة جدًا..

ولكن ستيفن قاطعه قائلًا.

– أريد أن أبتعد عن هذا العمل.

وحملق فيه بيرتون هول وقال:

– ماذا تعني؟

– لا أريد أي دور في صناعة هذا السلاح؟

– ومن يريد؟ إنه عمل الشيطان. ولنفترض أن آخرين قاموا بصنعه أولًا. إنني أراهن على أن النازيين قد استولوا على النرويج بسبب ما يوجد من الماء الثقيل هناك. إنني لا أستطيع أن أجلس وأرى بلادي وهي تتحطم وتنسف.

– إن كل إنسان يجب أن يقرر مصير نفسه.

– ليس اليوم.

وألقى بيرتون هول بالتقرير جانبًا ثم قال:

– إننا نعيش أو نموت معًا.

ولم يجب ستيفن كوست، وجلس واسترخي بجسمه النحيل على الكرسي في مواجهة النافذة، وأخذ يراقب الطلبة وهم يمرحون في حرم الجامعة. كانوا فرحين بيومهم الجميل، والرياح الباردة تلهب خدودهم، كما كانت شعور الفتيات تتطاير في الهواء. إن هذا شيء غير حقيقي، ولكن ما هو الشيء الأقل حقيقة، تلك الأجسام الهشة من لحم ودم.. والتي تموت بسرعة؟ أم هذه الطاقة الكامنة في جزيء صغير جدًا لا يمكن أن تراه العين. ثم إنه أردف يقول:

– لن أرتبط بهذا المشروع.

وعلى الفور انفجر بيرتون هول يقول:

– إنك تدعو نفسك عالمًا، فهل تعتبر أن هذا القرار الذي تتخذه بعدم اشتراكك في صنع هذا السلاح سوف يحول دون أن يصنع! بل وأن يستخدم أيضًا. فأجابه ستيفن:

– على الأقل لن أكون مسئولًا.

وحينئذ كشر بيرتون هول من أسنانه وزمجر قائلًا:

- إنك مسئول.. فإذا سقطت القنبلة علينا أولًا قبل أن نستطيع أن نسقطها على العدو فسوف تلام. إنكم أنتم تجار الحروب الحقيقيون، أنتم معشر دعاة السلم. إنكم تجار حروب وانهزاميون أيضًا.

ولم يزد عليه ستيفن كوست، ونهض واقفًا، وأخذ قبعته وترك الحجرة.

الفصل الخامس



في تلك الليلة وعندما عاد إلى بيته قبل زوجته قبلة قصيرة، وهي تعمل في المطبخ، وقد كانت تصنع العشاء، كانت خدودها ساخنة وحمراء، أما مزاجها فلم يكن هادئًا بالمرة، وسمع زوجته تقول في شبه شكوى:

– عندما أنا في المطبخ الكبير الجميل في البيت الذي لن أملكه أبدًا، أتعجب لماذا تزوجت عالماً؟

فأجاب ستيفن بقوله:

–وأنا أتعجب أيضًا لم أصبحت عالمًا؟

ثم انتظر حتى تسأله عن أحواله، ولكنها كانت مشغولة في الكعكة التي تعدها في الفرن التي أحرقت أصابعها وهي تجرها من الفرن، وحينئذ قرر أن الوقت غير مناسب للحديث عن التفجير الذري. ثم سألها عن موعد إعداد العشاء، وأجابته بأنه يجب أن ينتظر نصف ساعة، وألا يتحدث معها مرة أخرى، لأنها متعبة.. فذهب إلى مكتبه.. وهناك جلس وهو يضع رأسه بين يديه، وأعماقه تتمزق، ثم تذكر قولًا مأثورًا كان يردده أبوه كثيرًا، لقد كان يقول دائمًا: "إن الصينيين يعرفون الإنسان أكثر مما نعرفه؛ فهم يقولون إن كلًا منا في أعماقه ثلاثة أرواح وسبعة من الشياطين، وكلها في حرب مستمرة"، وكان يسأل أباه قائلًا: "ثلاثة ضد سبعة أليست

النتيجة معروفة"، فكان يجيبه بقوله: "من يعرف مدى قوة الروح؟ إن النسبة قد تكون صحيحة".

وبحافز في أعماقه قام إلى التليفون وطلب جين إيرل، وشعر برهبة إلى حد ما وهو يتذكر رقم تليفونها دون أن يكتبه في مفكرته، ولم يستطع أن يتذكر أين سمع رقم تليفونها، ولكنه يعرفه فهو محفور في ذاكرته.

– جين؟

– نعم يا ستيفن.

– إني لسعيد لأن تناديني هكذا. فقد كنت أريد أن أطلب منك ذلك.

فقالت في هدوء:

– إن هذا شيء طبيعي.

– لقد قدمت تقريري إلى بيرتون هول اليوم، وأبلغته أني لا أريد أن أستمر في هذا المشروع، سوف أفعل أي شيء آخر في مجال البحث، ولكنني لن أعمل في هذه المهمة.

– إنني سعيدة لذلك وهذا يعني أن هناك اثنان منا.

وسمعها وهي تضع السماعة برفق، ثم ساد الصمت.

وبعد منتصف الليل بفترة طويلة.. نهض بيرتون هول وجمع قصاصات الورق الذي كان يسجل عليها بعض المعادلات والملاحظات. وكان قد أكمل أول خطوة لأي مشروع قد يتعهد به، وكان قد جلس وحده في هذه الغرفة في المرتبة التي يسميها مكتبته، واستطاع أن يخرج بمشروع من عنده

هو، وكانت الخطوة التالية أن يبحث عن زوجته حيثما كانت، ويوقظها إن كانت نائمة، ويتحدث إليها. إنها في هذه الساعة لابد أن تكون نائمة في السرير الكبير العتيق، الذي شاركها إياه منذ ثلاث وعشرين سنة، وتنهد وهو يصعد الدرج وقال في نفسه "النوم" متى يستطيع أن ينام مرة أخرى دون أن تداهمه الأحلام المزعجة؟ وأنه يقف على أعتاب معركة رهيبة لا يمكن أن يتراجع عنها.

وأضاء النور في القاعة العليا، وفتح باب حجرة النوم، وكانت زوجته نائمة وكان المصباح بجوار السرير مضاء، فوضع أوراقه على المنضدة بجوار المصباح، وخلع ملابسه في صمت، وشعر بأنه في حاجة إلى دش ساخن يريحه وخمس دقائق من التمرينات الرياضية، ولكن الفرص لا تسمح بالعناية بصحته الآن، وزحف بجوارها على السرير وأخذ يوقظها، وطلب منها أن تصحو لأنه يريد أن يتحدث إليها، ومال عليها وقبل وجنتها، وقال لنفسه يا لها من امرأة تعيسة إذ تزوجتني. ثم وجدها تفتح عينيها بصعوبة فمضى يتكلم:

– إنني أعرف الأشعة الكونية وكل هذه الأشياء، بل أستطيع أن أمضي أكثر من ذلك وأقول إنني أعرف قدرًا كبيرًا من إمكانيات تقسيم الذرة – ليس مثل فيرمي العملاق الصغير– ولكني أعرف ما يكفي لأن أتحدث معه، وأعرف ما يحدثني عنه، وإنني لا أعرف ماذا يفعل الآن في محاولته لإحداث التفاعل المتسلسل، ولكن يجب علي أن أقوم بمهمة لابد فيها من علماء كبار، وهي مهمة على جانب كبير من السرية التي يحتمل أن تؤدي إلى أن أصنع، أو أساعد في صنع سلاح.. قد ينسف العالم ومن

بينه أنا وأنت.

وهنا تأوهت مولي بصوت عال وسألته:

– لكن لم تصنع هذا السلاح؟

فرد عليها قائلًا:

– لا توجهي إلي أسئلة سخيفة، فهل تعتقدين أنني أقدم على صنع هذا السلاح إن لم أكن مضطرًا إلى ذلك؟ إن النازيين سوف يقضون علينا– هذا هو السبب وأولادنا على وشك أن يلتحقوا بالجندية.

فاستيقظت مولي عند ذكر ولديها وقالت:

– أرجوك ألا تشركهما في ذلك، إنني لا أريدهما أن يرتبطا بعلمك القديم.

فقال لها:

– مولي.. لا تتحدثي عن الأولاد أو أي شيء.. فقط أنصتي إلي.. سوف أحدثك من الموقف كما أراه في هذه الساعة من الليل، إن لدينا عملًا كبيرًا وليس لدينا الوقت لنقوم به، فالذي كان يمكن أن نصنعه في القرن القادم.. وفي فسحة من الوقت.. يجب أن نفعله في مدى خمس سنوات على الأكثر، بل وفي أربع سنوات. إن لدينا فكرة باهتة.. من أين تكمن أكبر طاقة في العالم؟! ونحن نخاف أن نطلقها؛ لأننا لا نعرف كيف نسيطر عليها، وهذه هي المشكلة الأولى؛ كيف نتحكم فيها؟

فتمتمت مولي وهي تقاوم النوم:

– التحكم فيها.

ثم واصل بيرتون هول حديثه قائلًا:

– إذن كيف نستطيع أن نتحكم في هذه الطاقة؟ إن علينا أولًا أن نحصل على مفاعل نووي والمفاعل النووي يا زوجتي ليس أكثر أو أقل من فرن كبير جدًا.

فرمقته بإحدى عينيها وقالت:

– فرن مثل فرن المطبخ؟

– بالضبط ولكنه أكثر حرارة من هذا الفرن بملايين المرات، حتى إننا إذا لم نستطع أن نسيطر عليها.. ونتحكم فيها فإن كل شيء سيحترق، ويظل يحترق، ذلك لأن هذه الحرارة هي نفس الحرارة التي تجعل الشمس والنجوم في مثل حرارتها ، أي عبارة عن لهيب متصل من غاز الهليوم المحترق، فصرخت مولي وفتحت كلتا عينيها وقالت:

– ولكن لم تفعل مثل هذا الشيء؟

فقال لها:

– هل يمكن أن تهدئي، إنه لابد أن آتي بمن يبني هذا المفاعل. إنه لابد أن يكون معي رجال كثيرون يقومون بأشياء كثيرة في الوقت نفسه .. إذن من الذي أستعين به لبناء هذا المفاعل؟ ما رأيك في "تدباركز"؟ إنه يعمل في البحرية، ولكنني أستطيع أن أطلبه من هناك، فهذا المفاعل أكبر من أي مشروع يتعلق بالبحرية، وهو يعرف الفيزياء النووية، وقد عملنا معًا في أشعة إكس وهو يستمع لي ولكنه يفكر.

فقالت له مولي:

– وهو يكتب الشعر أيضًا. وقد رأيت له بعضًا منه في إحدى المجلات، وهو شعر جميل، ولكنني لم أستطيع أن أفهمه. فسألها في غضب:

– إذن كيف عرفت أنه جميل؟

فقالت له:

– لقد كان وقعه جميلًا عندما قرأته بصوت عال.. لكي أرى إذا كنت أفهمه أولًا، ولم أستطع ولكنه ما زال يبدو جميلًا.

فحملق فيها ثم واصل حديثه قائلًا:

– لا يهمني كتابته للشعر.. والآن أين أنا؟

وأخذ يتفحص مذكراته..

– نعم هنا.. التحكم في الطاقة الذرية.. إن هناك يا زوجتي عدة طرق نستطيع بها أن نتحكم في هذه القوة الرهيبة، ولكننا لا نعرف ما هي أفضل وسيلة للتحكم. فمثلًا هناك البيريليوم أو الكربون وكل منهما يخفف من الانفجار الذري، ولكن البيريليوم نادر جدًا، ولا أعرف من أين نأتي بما يكفينا منه، أما الكربون فخطير، إنني أكاد أجن فاللجنة في واشنطن تعمل منذ عام ونصف في فصل اليورانيوم، وتحاول أن تجد وسيلة للحصول على مفاعل نووي يمكن التحكم فيه، ولا يعتقدون أنهم سيحصلون على أي شيء لاستخدامه في هذه الحرب، ولكن يا عزيزتي سوف تضطر لإعداده من أجل هذه الحرب، لأن النازيين يضعون خططًا كبيرة – إن هذا سر هل تسمعين؟

فقالت زوجته وهي تبتلع تنهيدة أخرى:

– نعم إني منصتة.

وارتكن إلى الوراء ويداه متشابكتان وراء رأسه، وكانت مذكراته تتطاير على الأرض ثم قال:

– هل تعرفين ماذا قال لي ستيفن كوست اليوم، لقد قال إنه لا يريد أن يعمل في هذا المشروع، وقد سلمني تقريرًا يقول فيه إنه متأكد إن هذا يمكن أن يتم، ولكنه لا يريد أن يكون واحدًا ممن يصنعونه .. إنه يريد أن يعمل في أشياء لا تقتل الناس. سوف أتركه.. لا لن أتركه، إنني أريد كل العقول الكبيرة التي أستطيع أن أحصل عليها، ثم إننا لابد أن نحصل على أرطال وأرطال من اليورانيوم ٢٣٥.

وكانت زوجته قد راحت في النوم مرة أخرى فأخذ يوقظها، ويقول:

– أرجوك أنصتي لي دقيقة أخرى.. لقد قال طومبسون إن تجاربه توضح أننا نستطيع أن نحصل على البلوتونيوم من اليورانيوم ٢٣٥، وهذا يعني أننا نستطيع أن نحدث وحدات من التفاعل المتسلسل من مائة رطل من هذه المادة، بدلًا من مائة طن من اليورانيوم الطبيعي، وإذا حصلنا على ما يكفي من البلوتونيوم فيمكننا أن نحدث تفاعلًا متسلسلًا بنيوترونات سريعة، بدلًا من النيوترونات البطيئة، الأمر الذي يعني أننا بمثل هذا التفجر لن نحصل على قنبلة فحسب، بل سيكون لدينا قنبلة كبيرة، وهذا ما يجب أن نعمل فيه يا عزيزتي، وهذا شيء واضح بالنسبة لي، والآن يمكنك أن تنامي.. ثم مال عليها، وطبع على خدها قبلة عالية وأطفأ النور.

الفصل السادس



عاد بيرتون هول مرة أخرى إلى كاليفورنيا لحضور إحدى المؤتمرات، وكان المتحدث أحد العلماء الإنجليز وقال لهذا العالم "إنني نوع من العنكبوت البشري، أنسج خيوطي عبر البلاد كلها، كنت في نيويورك في الأسبوع الماضي، ثم ذهبت إلى شيكاغو، وبعد ذلك إلى واشنطن، وأنا هنا لأقابلك. ولم يكن الزملاء في واشنطن يريدونني أن أركب الطائرة مرة أخرى. فهناك فكرة تعلق في أذهانهم.. بأنني شيء مهم وقد هددوني بأنهم سيركبونني القطار ومعي بعض الحرس..

فأجابه العالم الإنجليزي:

– إنهم على حق.

واستقر بيرتون هول في كرسيه الخشبي غير المريح.. ليستمع إلى هذا العالم المشهور، ولكنه بدلًا من هذا.. أخذ يفكر في خططه السرية، إن خيوط العنكبوت يجب أن تنسج إلى أبعد من بلد واحدة، ويجب على العلم أن يركز نفسه، وأن يركز على مشروع عسكري واحد. إن قنبلة البلوتونيوم يجب أن تصنع. غريب حقًا أن تصبح الأحلام حقيقة.. مادام أن هناك وقتًا وضرورة، وقد ضيع رجال الكيمياء في العصور السابقة حياتهم وهم يحاولون صنع الذهب من المعادن الدنيا، والآن أصبح تحويل

المادة شيئًا ممكنًا، ولكن ليس بالنسبة للذهب، فالضرورة هنا هي الحياة نفسها، والشيء الملح هو الحرب المحتملة.

وتتابعت أفكاره وأخذ يغالب النوم، فقد كان الهواء في قاعة المؤتمر دافئًا وهادئًا، ولم يكن قد أخذ قسطه من النوم منذ الليلة الماضية، بل إن القهوة قد فقدت تأثيرها ومفعولها، ولم يجرؤ على محاولة تعاطي المنبهات التي يستخدمها طلبة الجامعة، ولم يكن يستطيع أن يستخف بأي شيء فالحقيقة داكنة، ولابد أن يعرف ما يقوله هذا العالم الإنجليزي، وقد كان الرادار هو أكثر التطورات العلمية أهمية حتى ذلك الحين بالنسبة للحرب، ولا أحد يعرف كم من الأرواح البريطانية أنقذها استخدام الرادار، فقد كان يعلن عن الغارات النازية في وقتها.. حتى تستطيع الطائرات المقاتلة

الإنجليزية أن تواجه هجمات العدو. وما الذي كان يمكن أن يحذرهم لو لم يوجد الرادار، وجاء صوت العالم الإنجليزي يقول:

– لقد قمنا بقياس النيوترونات السريعة وهي تمر عبر اليورانيوم ٢٣٥، ووجدنا أن الكمية المطلوبة للتفاعل المتسلسل أصغر بكثير مما كنا نعتقد في أول الأمر، ونحن على يقين الآن.. من أن القنبلة يمكن أن تصنع بالبلوتونيوم الناتج عن ذلك.

وقال "تدباركز" الذي كان يجلس إلى جوار بيرتون هول:

– أتذكر فيرمي.. إن كل شيء قاله يؤكد ما سمعناه الآن، فكل ما نحتاج إليه أقل من مائة رطل من البلوتونيوم.

فأومأ بيرتون هول علامة الموافقة، فقد اشتملت مشروعاته في

الأسبوعين الأخيرين على الاستعانة بالعالم "فيرمي" و و"وينر" العالم المجري الكبير.

في ذلك اليوم.. ظل يستمع إلى وينر وهو يحكي له، بينما عبراته تنهمر، من النازيين وما فعلوه في بلاده، كان يتمزق من الفزع وهو يتكلم وهو يذكر الجو الذي هرب منه تاركًا وراءه كل إنسان أحبه وقال:

– لقد قال لي أبي عندما رفضت أن أهرب: يجب أن تغادر البلاد، إن في عقولكم شيئًا يمكن أن يساعد في إنقاذ بقية العالم، اذهب إلى أمريكا، وأخبرهم بكل شيء.

ثم حاول أن يبتسم وواصل حديثه:

– اعذرني.. إنني لا أستطيع أن أنسى، وهذا هو السبب في أنني أقول إننا يجب أن نمضي بسرعة في صنع هذه القنبلة، حتى نكون مستعدين للحرب.. فقال بيرتون هول:

– ربما لا نضطر إلى استخدامها إذا حصلنا عليها.

فأجابه وينر:

– إننا لا نقرر ذلك الآن، ولكن إذا اضطررنا فسوف نستخدمها.

ومن كاليفورنيا طار مرة أخرى إلى شيكاغو، وودع رجاله، وبعد ثلاثة أيام من التخطيط والمناقشات.. جلسوا جميعًا يتفقون أخيرًا على أن البلوتونيوم يمكن أن يصنع ، ولكن بأموال كثيرة وبمصنع كبير.. إذا خصص للمعدن الذي تحتاجه القنبلة. ووقف أحد العلماء البولنديين وهو خبير في

المتفجرات ليقول:

– إننا نستطيع أن نصنع قنبلة ذرية صغيرة في إحدى الطائرات، ونوفر الطائرات الكثيرة التي تحمل عادة القنابل الحارقة.. التي تقوم دائمًا بعمليات الإتلاف، وبهذه القنبلة الواحدة نستطيع أن نحدث من التلف والخسائر ما تحدثه هذه القنابل الحارقة جميعًا.

وانفض الاجتماع، وانتهى العالم الإنجليزي مما كان يريد أن يقوله، واتجه نحوه العلماء لا ليصفقوا له أو ليتعارضوا معه، ولكنهم كانوا يعانون من قلق خطير، ولم ينهض بيرتون هول من مقعده، فقد طفت مشكلة من أعماق عقله المضطرب، فالطاقة التي تولد من الانشطار في رطل واحد من البلوتونيوم تعادل نحو عشرة آلاف رطل من مادة ت. ن. ن. ولكن لنفترض أن القنبلة فجرت نفسها قبل أن تستخدم، ماذا عن ضغط الغاز والحرارات الخاصة، فمن ذا الذي يعرف قوى القصور الذاتي وانتقال الاشعاعات والجزيئات عبر المعدن نفسه؟ وكيف يمكن الإجابة على مثل هذه الأسئلة أو حتى حسابها؟ من ذا الذي يعرف أي شيء؟ ونهض في صمت وسار على مهل، إنه مضطر لأن يكون وحده في مكان ما لمدة ساعات، بعيدًا عن صوت أي إنسان، بعيدًا عن هذا العالم الصغير، وقريبًا من النجوم مرة أخرى.

ومضى بيرتون هول إلى حيث التليسكوب الضخم الذي يربض على قمة جبل مرتفع، ومن هناك استطاع أن يتبين رقعة من الأرض فسيحة في وادي ريوجراند، حيث استقر رأيه على أن هذا هو المكان الذي يبحث

عنه، بعيدًا عن الطرق، وبعيدًا عن المدن، وبعيدًا عن الناس، فهنا في أمان وسرية تامة، يمكن أن تصنع التجربة الكبيرة.

قال ستيفن كوست لجين:

– لقد انتهى يوم آخر وحان الوقت لأن نتوقف. لقد كتبنا الكثير من التفاصيل، إن هناك أربع طرق يمكن أن يصنع بها هذا الشيء. إننا في حاجة منها إلى بضع مئات من الأرطال، ويجب أن نتذكر ذلك، فالألمان يستخدمون طريقة الانتشار الحراري، وهذه طريقة باهظة التكاليف إذا كانت تقارير الأبحاث التي تجريها البحرية في واشنطن موضع ثقة. فهم هناك يعملون بهذه الطريقة أيضًا. أما إنجلترا فتستخدم طريقة الانتشار الغازي وكذلك تفعل كندا.

فقالت جين وهي تتنهد:

– لا تذكر الغاز فهو شيء خطير، ويهلك كل شيء إنني أكره لونه.

فقال ستيفن وهو يوافق على كلامها:

– وسوف يكون من المستحيل أن نجعل الأنابيب ضد التسرب، ولكن هناك الفصل المركزي، والفصل الالكترومغناطيسي، وبيرتون هول لديه كل شيء في عقله الآن ومنظم، لقد أمضيت معه أمسية الأحد، وقد حددت له الطرق الأربع، أما الخطوة التالية فهي عملية تنسيق، وهذه مهمة بيرتون هول، ولكنه لا يستطيع أن يتحرك ما لم تعرف الحكومة ذلك.

فقالت جين:

– لقد ذهبت مساء الأحد لأستمع إلى كونشيرتو لبيتهوفن، فلم أكن أستطيع أن أبقى وحدي في شقتي لسبب ما.

فسألها ستيفن:

– ألا يمكن أن أرى هذه الشقة؟

فأخذت جين تفكر في الأمر وقررت أن تتقبل هذا الطلب، لقد أصبحت الوحدة بالنسبة لها شيئًا لا يطاق بعد أن ظلت نشرة طويلة ترتاح إليها، وقالت له:

– متى تحب أن تأتي؟

فتراجع مرة أخرى وقال:

– في وقت ما.. عندما لا يكون هنالك شيء يقلقني، وقد تأتي هيلين معي. إننا نعرف الكثير عن هذه المادة يا جين.

فقالت له:

– نحن نعرف الكثير.. ولكن قد لا يكون كافيًا، ولكن هل ستعمل في هذا المشروع يا ستيفن؟

فأجابها:

– لا، إنني ما زلت لا أعمل فيه، وقد فعلت كل ما يمكن أن أفعله، ولسوف أعمل في مشروع خاص بي، فلدي بعض الأفكار عن استخدام الطب للنظائر المشعة.

ولم تجب.. واستدار ستيفن ليواجهها، ويحملق فيها ويقول:

- إن أنفك يلمع.

فسألته وهي تمسح أنفها بكمها:

- هل هذا مهم؟

فقال لها:

- لا تمسحيه إنني أحبه يلمع فهو أنف جميل.

وفي هذه اللحظة.. استدارت جين، وأخذت تجمع الأوراق وقصاصات الورق وتضعها في درج المكتب ثم قالت:

- لقد حان موعد ذهابي إلى بيتي.

فوافقها على ذلك وأخذ يتسكع لبضع دقائق في المعمل، ثم سمعها تقول:

- لقد جاءني خطاب من بيرتون هول اليوم.

فسألها دون أن يدير رأسه:

- أين هو؟

فقالت:

- في نيو مكسيكو، وقد وجد المكان الذي سنقيم فيه المشروع.

- أعتقد أنه يريدك أن تذهبي معه.

- سوف يتيح لي الاختيار.

- هل ستذهبين؟

- لا أعرف.

- إنك ستعملين بطريقة مباشرة في هذا السلاح إذا ذهبت إلى هناك.

ولم تجب جين، ثم وضع ستيفن المبراة على المكتب، وخلع معطف المعمل، ومضى ليرتدي معطفه ثم قال:

- سوف أذهب.

ولكنه توقف عند الباب...

- أعتقد أنه كان هناك اثنان منا، لقد قلت ذلك في إحدى المرات، اثنان ضد هؤلاء جميعًا ويبدو الآن أن هناك واحدًا فقط، إنني أقف وحدي أليس كذلك؟

كانت جين في تلك اللحظة تقرأ قصاصة من الورق و فجأة صاحت:

- ستيفن لقد اكتشفت غلطتك. وفي خطوات ثلاث كان ستيفن بجوارها، وخطف منها الورق وأشارت إلى إحدى المعادلات وقالت:

- لقد سلمت بأن قوة الصدمة تتحدد بكمية الطاقة التي تنتج، ولكن ليست الكتلة هي التي تهم، إنها الطاقة الديناميكية الحرارية المباشرة.

فخبط جبهته بيده وقال:

- كم أنا غبي.. إنها نفس القاعدة التي استخدمها بيرتون هول منذ

سنوات مع شركة جنرال اليكتريك، فهي القوة التي فجرت الطاقة في "فلاش التصوير".

فقالت:

– نعم.. نفس القاعدة أيضًا للقنبلة الذرية.

ثم تركها وهو يمسك بيده قصاصة الورق، وانتظرت وعندما لم ينظر إليها مرة ثانية وهو عند الباب.. ابتسمت ثم فتحت أحد الأدراج وأخرجت خرقة من القماش.. وأخذت تمسح المنضدة كما لو كانت حوض مطبخ.

وبدأت الاتصالات على جميع المستويات لتنفيذ هذا المشروع، وكان بيرتون هول هو المحرك الأول لهذا المشروع، وجاءته مكالمة من البيت الأبيض، وبعد أربع وعشرين ساعة كان في واشنطن، ليقابل المهندس الكبير "فان"، الذي أخذ منه التقرير، ووعده بدراسته وإطلاع الرئيس عليه.

وفي مساء اليوم التالي.. دق التليفون بجوار سريره، واستيقظ على الفور، وكانت الساعة الثانية والنصف، وجاءه صوت فان يقول له:

– لقد قضيت اليوم مع الرئيس، وإني أغادر لتوي البيت الكبير.

وقال:

– إذا كان يمكن صنع هذا السلاح.. فيجب أن نصنعه أولًا، وأرجوك أن تقابلني غدًا في الساعة التاسعة في مكتبي، وقد طلبت من ثلاثة زملاء

آخرين أن يحضروا، وسوف تكونون لجنة جديدة خاصة بأبحاث انشطار النواة، ويجب أن تكتبوا لي تقريرًا في خلال شهر من الآن، وقد يبدو العالم مختلفًا حينذاك مما يبدو الآن عليه، سواء من الأفضل أو من الأسوأ، وإذا كان تقريرًا طيبًا.. والعالم يبدو في حالة سيئة.. فإن الدولة كلها تقف وراءك بلا حدود.

فقال بيرتون هول:

– سوف أكون هناك.

ووضع سماعة التليفون وارتمى على وسادته، لقد تحققت المهمة.

وفي السادس من شهر ديسمبر.. وقع باسمه على التقرير النهائي.. وكان فخورًا بالسرعة التي أنجزوا فيها هذا العمل. وبعد ظهيره اليوم التالي.. وفي الساعة الرابعة.. وبينما كان يقرأ في بعض صحف الأحد.. تذكر أن هناك مباراة لكرة القدم تذاع في الراديو، فترك أخبار القتال، وفتح الراديو ليستمع إلى المباراة، ولكنه سمع صوت المذيع يقول في تهدج واضطراب:

– إننا نوقف هذا البرنامج لنعلن أن بيرل هاربور قد دكت بقنابل الطائرات اليابانية.

وسقطت الكلمات على قلبه كضربات الحديد فوق لحم عار ونهض واقفًا، واستمر جامدًا في مكانه، والدموع تنزل فوق وجنته. لقد أجيب على جميع الأسئلة أخيرًا، فقد دخلت البلاد الحرب.

الفصل السابع



وفي صبيحة اليوم التالي، الثامن من شهر ديسمبر عام ١٩٤١ استيقظ بذهن صاف وقلب هادئ، لقد اتخذ القرار الكبير، ولكن لم يتخذه هو. وسكتت المناقشات والجدل، فقد أعلن عن نفسه ورأيه سافرًا أمامهم، ولم يكن يريد أن يوقظ زوجته، فقد أزعجته بالأمس بنوبة من البكاء والعويل، والحديث الطويل عن هذا الذي حدث، وعن الخوف على أولادها من ويلات الحرب، ثم سمع وهو في سريره جرس الباب وهو يدق، وتطلع إلى الساعة بجواره فوجدها السابعة، فنهض من سريره وأخذ يتحسس طريقه إلى أسفل. كان الصباح مليئًا بالضباب، وفتح الباب، ومن بين هذا الضباب استطاع أن يرى شكلاً نحيفًا صغيرًا يرتدي معطفًا واسعًا وعرفه وقال له:

– ادخل يا ياسوا. إنك ستتجمد وأنت واقف هكذا.

كان "ياسوا ماتسوجي" فنانًا من اليابان تعرف عليه بيرتون هول منذ سنوات، عندما كان يهتم بالفن الياباني في الجامعة منذ أربع وعشرين ساعة فقط، كان يمكن أن يقول إن ياسوا صديقه، فلم يكن يتصور أن يربط بين الفنان وعدوه أو أي عدو، ولذلك لم يستطع أن يتعلم كما أن "ياسوا" لم يتكلم. وقف كل منهما يحملق في الآخر، وفي هذا الصمت الرهيب بدأت

الدموع تتدحرج من عيني "ياسوا"، ورفع يده ليمسح الدموع، ثم استدار مبتعدًا من المنزل، وقد أحنى رأسه حتى لا تتأثر بالرياح الباردة التي تأتي من البحيرة.

ولم يستطع بيرتون هول أن يغلق الباب وراء هذا الرجل فقال له:

– ياسوا. تعال.

وشعر برهبة، إذ خاف أن يسمعه أحد وهو ينادي واحداً من اليابانيين، ولكنه كرر دعوته، وقال:

– تعال.

وعاد ياسوا مرتابًا ووقف داخل الباب وانتظر فقال له بيرتون هول:

– تعال إلى مكتبي.

وأغلق الباب، ثم سار معه إلى المكتب، وجلس "ياسوا" غارقًا في معطفه الكبير، ثم شغل بيرتون هول نفسه بإشعال النار، ثم نظر إلى ياسوا وقال له:

– إنني لا أعرف ماذا أقول، فلم يتغير شيء بيننا في الجوهر فيما عدا أن...

فأومأ ياسوا وقال:

– كل شيء تغير عندك وليس عندي. إني أشعر بذلك، إنني هنا لأقول لك إنني أدرك ذلك ولن أقول لك اغفر لي.. واغفر لبلدي، ليس هذا ممكنًا، فأنا لا أستطيع أن أغفر لبلدي، لقد هاجموني أيضًا عندما قاموا

بهذا الهجوم على أمريكا، وأحب أن أقول إني أحب أمريكا مثل اليابان، فأنا لا أتغير، أنا فنان وكل ما أفكر فيه هو الفن الخالد، نفس الفن في كل مكان دائمًا، وأنا لست عدوًا ولن أكون أبدًا عدوًا، وأنت لست عدوًا لي في قلبي ولن تكون أبدًا.

وقال بيرتون هول:

– أشكرك، أعتقد أن الناس أمثالنا يحاولون أن يقولوا نفس الأشياء في بلدك وفي بلدي، ويمكنك أن تستمر في عملك كفنان، ولكن بالنسبة لي؛ إنني مضطر لأن أكون شخصًا آخر الآن، لا مجرد عالم، وأعتقد أنه يجب ألا يرى كل منا الآخر حتى تنتهي هذه الحرب الرهيبة، وبلدك أو بلدي هي المنتصر، ويجب أن تكون بلدي يا "ياسوا" مهما كانت التكاليف، لأن بلدك اختارت أن تقف بجانب العدو، ليس عدوي فحسب بل عدوك أيضًا.

وأخذ الرجل الياباني ينصت وعيناه سوداوان بالمأساة. كان يريد أن يتكلم، وأن يكشف عن نفسه فقال:

. – لسوف يحدث شيء حالًا، أنا لا أعرف ما هو، ولكن سيحدث شيء، وقد يعيدوننا إلى اليابان، وحينئذ لن تكون لدي فرصة للصداقة مع أمريكا، ولذلك أريد الآن أن أتحدث عن كل صداقتي للأمريكيين.

وأخذ يقص قصته، وكيف جاء إلى أمريكا، وشعر بيرتون هول بقلبه يتمزق، ودعاه ليتناول قدحًا من القهوة، وبعد ساعة غادر ياسوا المنزل، وأخذ بيرتون هول يراقبه من النافذة، ويتذكر آلافًا من اليابانيين الذين

جاءوا إلى أمريكا، ونسيهم وهو يفكر في مشروعه الرهيب، وقال لنفسه إنه ليس مسئولًا عنهم. إن أمامه مهمة واحدة وهو أن يصنع القنبلة بأسرع ما يمكن. وعندما رأى ياسوا للمرة الثانية.. كان "ياسوا" وراء الأسلاك الشائكة لمعسكر من معسكرات التعذيب في صحاري الأريزونا.

كان البحث عن رجال يعملون معه هو المهمة التي تواجهه الآن. ويجب عليه أن يبحث عن علماء من الشباب، وكلما كانوا أصغر سنًا.. كان ذلك أفضل، تحت سن الخامسة والعشرين إن أمكن، فهو يريد عقولًا جريئة، لم تتعب بعد، ذات خيال منطلق، حتى تكتشف الأشياء غير المحدودة. ولكن كيف يستطيع أن يقنع ستيفن كوست، وكيف يواجه هذا الضمير الرقيق جدًا. إنه يريد هذا العالم الشاب، فهو ذو عبقرية أصيلة، فهل يخسره لأن أباه كان رجل دين، وفجأة فكر في جين فهي يمكن أن تساعده، فهناك شيء بين ستيفن وجين أم أن ذلك من تصوره؟ فأمسك بسماعة التليفون، وأدار رقم المعمل وكانت جين هناك رغم أن الوقت كان متأخرًا، وعرفت أن بيرتون هول هو الذي يتحدث، فأمسكت السماعة وقالت:

– نعم يا بيرت ماذا تريد؟

فأجابها بيرتون هول بقوله:

– جين إنني أريدك أن تحضري، هل ستيفن عندك؟

– لا....

- حسن إذن أريدك أن تأتي، لأني أريد أن أراك بمفردك، والموضوع

خاص بالعمل بالطبع، وأنا وحدي الآن، فقد ذهبت مولي إلى حفل.

ثم ضحك ووضع سماعة التليفون. لقد كان يحدث في بعض الأحيان. أن يوقظها من نومها ليقول لها إنها امرأة جميلة ورقيقة، ولكن يبدو أنه لا وقت لذلك الآن، كما أنها لا تملك الوقت أيضًا لذلك الآن.

وكان بيرتون هول قد ومضت في مخيلته فكرة رائعة، فلم لا تعمل جين مساعدة له، وأشعل نار المدفئة وأخذ يتجول في القاعة جيئة وذهابًا، في انتظار حضور جين، والآن إن ما يجب أن تفعله جين أولًا هو أن تقنع ستيفن بأن يتولى توليد البلوتونيوم.

وسمع جرس الباب يدق، وألقى بقطعة من الخشب في النيران قبل أن يذهب ليفتح الباب، وعندما فتح الباب وجد جين تقف عنده في معطفها الفراء، وشعرها الأسود يتطاير في الهواء، ودخلت وخلعت معطفها وقالت:

– لقد كانت المواصلات صعبة، فالناس في الشوارع تشتري حاجيات عيد الميلاد.

فقال:

– عيد الميلاد. لا تقولي لي إننا يجب أن نحتفل بعيد الميلاد هذا العام.

فقالت وهي تدفئ يديها:

– إننا لا نستطيع أن نتهرب من ذلك.

فتجاهل قولها وسألها:

– أتريدين شيئًا تشربينه؟

فشكرته وأجابت بالنفي وحينئذ أمرها بالجلوس فجلست ونظرت إليه في هدوء وقالت:

– ما الخبر؟

فقال:

– أريد منك شيئين أولًا لقد حصلت على منصب جديد، فأنت من الآن مساعدتي، وهذا يتضمن كل شيء فستكونين موضع ثقتي، ولن أمنع عنك أي سر، وسلطاتك غير محدودة بالنسبة إلي، ويمكنك أن تناقشيني إذا رأيت أنني على خطأ، ولا تلقي بالًا إلى نوبات غضبي، وسوف تقرئين خطاباتي. وقصارى القبول ستكونين كل شيء.

فتطلعت إليه بنظرة باردة متحفظة وقالت:

– إلى متى؟

– إلى أن ننجز هذا المشروع، وبعد ذلك نرى.

– هل هذا ضروري يا بيرت؟

– بكل تأكيد.

– سوف أبذل ما في جهدي، ويجب أن نبذل ما في جهدنا الآن. وماذا عن الشيء الثاني؟

– أعرف إنك وثيقة الصلة بالعالم ستيفن كوست أليس كذلك؟

فرفعت عينيها السوداوين:

– لا أعرف ماذا تعني بذلك، فإذا كنت تعني علاقة شخصية فإني أجيبك بالنفي.

– هل لديك علاقة شخصية بأي شخص آخر؟

– ربما لا. فليس هناك وقت لذلك.

– إذن فكري ماذا يكون عليه الحال عندما تتقدمين في السن وتصبحين عانسًا.. تعيشين وحدك تفتقدين الحياة.

– قل لي ماذا تريد؟

فتنهد وهو يقول:

- أريدك أن تقنعي ستيفن بأن يقوم بمهمة توليد البلوتونيوم، فهو رجل محترم بالرغم من آرائه الدينية الغريبة.

– هل استقر رأيك على البلوتونيوم؟

– إن كل شيء يشير إليه يا جين، وبالطبع سنحاول أن نجرب كل شيء آخر، لقد ضيعنا الكثير من الوقت في حجرات الاجتماع، ويجب الآن أن نلتزم معاملنا، فقد طلبني زيجني في العام الماضي، وقال إنه ضاق ذرعًا. فلم ينجز أي عمل جديد في التفاعل المتسلسل بين أول يوليو عام ١٩٣٩ ومارس عام ١٩٤٠، وظل يستحثني أما فيرمي فقد سار في المقدمة ومضى يعمل، ويبدو أن العمل في معامل بيركلي قد أعطانا الدليل النهائي، وهو اليورانيوم إلى بنتونيوم إلى بلوتونيوم.

فقالت جين:

– أي يتحول يورانيوم ٢٣٨ إلى بلوتونيوم معتمدًا على عدد النيوترومات التي تنطلق نتيجة انشطار ذرة اليورانيوم.

ورمقها بنظرة إعجاب وقال:

– لم أفسر لك كل شيء.

قالت في هدوء:

– إنني على اتصال بفيرمي ولا تنس أنه كان أستاذي في كولومبيا.

فحول الحديث وقال:

– جين لقد قررت اللجنة أول أمس أن تمضي قدمًا في المشروع وقد عاد اثنان من رجالنا من إنجلترا، وأنت تعرفين من أعني، وهم يقولون إن البريطانيين يحرزون تقدمًا رهيبًا بدوننا، وقد قيل لهما إن النازيين قد طلبوا كميات هائلة من الماء الثقيل من النرويج، ولو لم يكن ما حدث في بيرل هاربور شيئًا فظيعًا لقلت إنه شيء من الحظ، وإني لأعجب ماذا قال ستيفن عن هذا الحدث.

فقالت:

– إنني لم أر ستيفن، ولكن أين سيصنع هذا الإنتاج؟

فأجابها بقوله:

– سوف يصنع هنا في شيكاجو، في بادئ الأمر على أية حال، حيث اكتشفنا لأول مرة اليورانيوم ٢٣٥، والذي بدونه لا نستطيع أن نبقى أحياء اليوم يا جميلة، لذلك عليك أن تقنعي ستيفن بأن يتولى هذا العمل.

فقالت له:

– سأحاول.

وانتظر برهة لكي تكمل كلامها، لكنها لم تقل شيئًا آخر، فجلس ينظر إليها امرأة جميلة رقيقة رشيقة، في أعماقها نيران خبيثة، وتطلعت إليه، ورأت نظرته المبتسمة المسددة إليها، وفجأة قفز من كرسيه ورفعها بين ذراعيه، وهو يتجاهل عينيها المندهشتين وتمتم.

– جين...

وشعر بيديها تبعد وجهه وتدفعه بعيدًا بقوة عنيفة وقالت:

– دعني أذهب.

وأسقط في يديه، وخجل من نفسه، وأدار ظهره لها، ثم بحث عن منديله، وأخذ يمسح وجهه، ولم يستطع أن ينظر إليها، ولكنه سمعها تقول في ثبات ورصانة:

– إذا عملت معك فيجب أن تتحكم في نفسك، فالتحكم شيء ضروري.

وحاول أن يضحك وسألته:

– متى أبلغك؟

فقال لها:

– صباح غد في التاسعة.

فقالت:

– سوف أكون هناك في المعمل..

وخرجت جين ووقف بيرتون هول يتعلم إلى الباب المغلق ولعن نفسه.

سأل ستيفن جين:

– متى أقابلك؟

وأخذت جين تفكر أنه ما يزال غاضبًا منها، وهذا جميل فهذا يعني أنه لن يفعل شيئًا من أجلي، وسوف يتخذ قرارًا ضد رغبتي، إن أمكن وحينئذ لن أكون مسئولة. واتفقا على أن يتقابلا مساء اليوم التالي، في أحد المطاعم الهندية، ووصلت جين إلى هناك قبل الموعد المحدد؛ لتختار المنضدة التي سيجلسان إليها قبل أن يصل ستيفن، وحضر ستيفن وجلس فسألها وقال:

– متى ستبدأ الحرب؟

فقالت ببساطة .

– لقد بدأت.

وبعد أن تناولا الطعام الهندي.. الذي أثار بعض الحديث عن الهند قالت جين:

– ستيفن إن بيرتون هول يريدني أن أكون مساعدته وقد قبلت ذلك.

فقال لها:

- افعلي ما تشائين.

فقالت:

- وهو يطلب منك أن تكون مسئولًا عن هذا الإنتاج.

- لا أستطيع أن أفعل ذلك.

- سوف يتم إنتاجه بدونك.

- بالطبع ولكن لن أكون مسئولًا في هذه الحالة.

- قد تكون مسئولًا عن الطريقة التي يستخدم بها.

واعتدل في كرسيه وقال:

- جين لا يجب أن نتجادل، إنني مسئول من شخص واحد وهو نفسي، إنني لن أصنع سلاحًا يقتل به الآخرون، وإذا كان هناك من يريد أن يصنعه فليصنعه أما أنا فلا.

- إذن ماذا ستفعل؟

- سوف أعود إلى معملي، سوف أعكف على شيء لا يؤذي أحدًا.

- يجب أن نتناقش في ذلك، لأن المادة المشعة يمكن أن تعالج كما يمكن أن تقتل، وحتى في القنبلة يمكن أن تنقذ، بدلًا من أن تحطم وتدمر، ولم يقل أحد إننا سنستخدم القنبلة، فإذا صنعناها وأوضحنا إننا نمتلكها فربما تنتهي الحرب دون أن تستخدم.

فحملق فيها وهو لا يكاد يصدق ما يسمعه، وقال:

- منطق "الفرد نوبل" عندما صنع الديناميت.

– لقد كان الديناميت أسوأ متفجر يستطيع أن يصنعه في هذه الأيام، وستكون القنبلة أسوأ من ذلك بكثير، حتى إن أحدًا لن يستخدمها أبدًا.

– هل تعتقدين ذلك؟

– نعم إنني أشعر بما تشعر به، ولكن لأني امرأة فأنا عملية أكثر منك، وأعتقد أننا إذا جعلنا من الحرب شيئًا رهيبًا كما هي بالفعل.. وكما يمكن أن تكون.. فإن الرجال سوف يوقفون القتال.

– وددت لو أصدق ذلك يا جين.

– إن هذا الإنتاج سيصنع، لا شك في ذلك، فنحن في سباق رهيب، وسوف يصنعه النازيون إن لم نصنعه نحن، وهذه هي المشكلة، إننا مضطرون إلى صنعه ولكننا لسنا مضطرين إلى استخدامه، وربما نجربه حتى يستطيع العدو أن يرى ما لدينا.

وراح ينصت إليها وعيناه على وجهها، وقال في همس:

– كيف أستطيع أن أقول إنك على خطأ، وكيف أعرف إنني على صواب؟ فأعطني مهلة يا جين يجب أن أعاود التفكير.

– ليس هنالك وقت يا ستيفن.

- حتى غد.

– ليكن.. ولكن هل تبلغ بيرتون هول بنفسك؟

فقال لها:

– نعم سوف أبلغه.

ثم نهض واقفًا فلم يكن هناك شيء آخر يقال، وترك النقود على المنضدة، وسارا في صمت ليفترقا عند الباب، ولم يوصلها إلى البيت، فلم يكن يريد أن يسمح بأن يثار أدنى احتمال عن وجود علاقة بينهما كرجل وامرأة، وقالت جين في نفسها إن هذا أفضل، ولكنها فزعت فجأة إذ تحرك في قلبها شعور غامض وغصة مفاجئة، سببت لها ألمًا مفاجئًا. ليس هذا مهمًا فليست أكثر من لحظة واحدة، وقد اعتادت على هذه الوحدة.

ووصل ستيفن إلى بيته وهو في حيرة. كان قلقًا ولا يستطيع أن يفعل شيئًا تحت هذه الأمسية، لم يكن على يقين من صوابه في رفض الاشتراك في صنع القنبلة الذرية، وكان يعزز موقفه موافقة جين على ذلك، والآن هجرته جين، ولم تهجره هو فحسب بل هجرت موقفه الأخلاقي، ولو أنها كانت انضمت إلى الجانب الآخر.. واستسلمت لأمر بيرتون هول لرضي بهذا الهجر، ولكنها لم تستسلم، ولكنها اتخذت موقفًا أخلاقيًا آخرًا جديدًا، حتى إنه لا يستطيع أن ينكر أن هناك شيئًا فيما قالته، لقد وضعت على كتفيه عبئًا آخر، فالقنبلة سوف تصنع، وهي على حق حتى الآن، ومهما يكن ما يفعله.. فلن يستطيع أن يمنع ذلك، ومع ذلك فإذا صنعها رجال ليس لديهم أي وازع عن استخدامها ألن يشاركهم جريمتهم الأخلاقية هذه؟! وإذا عمل معهم كما قالت جين وأثر فيهم ألا يستطيع أن يقنعهم بأن يعلنوا عن هذا العمل دون أن يستخدموه في هجوم خاطف، يفوق

الهجوم على بيرل هاربور في دماره وهلاكه الحياة البشرية. وارتكن برأسه على حشية الكرسي وفندت عنه صرخة ألم وأغمض عينيه، ولم يستطع أن ينكر أن المنطق يقف إلى جانبها، فهو منطق عملي على النقيض من مثاليته الأنانية.

نعم لقد حاول أن يهرب إلى مثاليته، ولكن جين اكتشفت هذا وواجهته به، إنها على حق بالطبع وعليه الآن أن يقرر كيف يستغل خدماته في صنع القنبلة، ودخلت عليه هيلين ونظرت إليه وقالت:

– هل تخفي شيئًا؟

فأجابها بقوله:

– أنا لا أخفي شيئًا. سوف أقول لك كل شيء، سوف أسهم في صنع القنبلة، وأنا مقتنع بذلك، فكل شيء قد تغير الآن يا هيلين، بيرل هاربور غيرت كل شيء، فما كان ممكنًا ليلة أول أمس أصبح مؤكدًا الآن، وليس هناك من مفر، والأمل الوحيد المتبقي هو أننا إذا صنعنا القنبلة.. فيمكن أن نبلغ الناس أننا صنعناها، كما نعرفهم بما يمكن أن تفعله هذه القنبلة، فقد يكون هذا كافيًا كتهديد وليسن كسلاح، وأنا لم أفقد اهتمامي، ولكنني غيرت مركزه، وبما أن القنبلة يجب أن تصنع.. فإن واجبي أن أفعل كل ما أستطيع للحيلولة دون استخدامها.

وأعربت هيلين عن فهمها لما يتحدث عنه، وصعدا إلى أعلى لتحتويهما حجرة النوم. وبعد يومين كان بيرتون هول يتحدث مع جين من مكتبه في الجامعة ويقول:

– أحب أن أعرفك أن اللجنة قد اجتمعت بمندوب من رئاسة الجمهورية وآخر من وزارة الدفاع، وكانا ينصتان ونحن نتحدث، ولكننا افترقنا على وفاق، ومهمتي ذات شقين؛ فأنا مسئول عن تصميم القنبلة ذاتها وصنعها بعد ذلك، وسوف أحتاج إلى مئات الأرطال من البلوتونيوم، ولكن كيف أحصل عليها؟ وهناك ثلاث مشكلات، وهي: كيف تحدث تفاعلًا نوويًّا متسلسلًا باليورانيوم العادي، الذي نستطيع الحصول عليه، وكيف يمكن استخلاص البلوتونيوم الناتج عن هذا التفاعل من اليورانيوم الذي يكمن فيه، وكيف نصنعه بالدرجة التي لابد منها لصنع القنبلة؟

فقالت جين:

– سوف نستخدم الجرافيت الذي يقول به فيرمي، لنستخدمه كمهدئ ثم إن الماء الثقيل يستغرق وقتًا طويلًا لصنعه، كما اكتشف ذلك الألمان، أما البريليوم فمن الصعب جدًا الحصول عليه.

فقال بيرتون:

– ولكن هل أثق في تجارب فيرمي التي أجراها في كولومبيا إنها تجارب قليلة؟

فأجابت: لقد أظهرت كيف تكثر النيوترونات.

فتنهد بيرتون وقالت جين:

– إن فيرمي سوف يقوم بذلك.

وسكت بيرتون هول قليلًا ثم قال:

- إننا لا نستطيع أن نجازف، ونعتمد على طريقة واحدة لصنع القنبلة، ويجب أن نفعل كل شيء في وقت واحد، لذلك سنبدأ بالعمل بأربع بطرق، ويمكن أن تسميها أربعة جياد في سباق، ولينتصر الفائز، وهذا هو السبب في أنني أريد ستيفن كوست ليتولى تنفيذ الطريقة التي أراهن عليها.

فقالت:

- سوف يكسب.

فقال لها:

- أنت أدرى بالطبع.

ولم تجب على ذلك.

وواصل بيرتون هول بعد أن رمق هو بنظرات جانبية حادة قوله:

- سنقوم بتجارب الانفصال المغناطيسي في إحدى الجامعات، والانتشار الغازي في جامعة أخرى، والانفصال المركزي في معمل ستاندرد أويل، ولكن بالاشتراك مع جامعة ثالثة، أما ستيفن كوست فيعمل هنا في شيكاغو تحت بصرك وبصري، وهؤلاء جميعًا ليسوا في حالة تنافس، فالتعاون يجب أن يسود بينهم، فليس هناك شيء شخصي الآن في العالم كله، وأعرفك أن اللجنة سوف تجتمع كل أسبوعين في واشنطن على المستويات العليا بالطبع وفي سرية تامة، ولكن سيكون معنا أكفأ الرجال من أوربا وإنجلترا، ونحن على استعداد لأن نمضي في الطريق، لقد دخلنا

الحرب منذ ستة شهور، وقد استولت اليابان على الفيليبين وسنغافورة وسوف تستولى على إندونيسيا بعد ذلك، أما النازيون فقد استولوا على أوربا، ويحاول التغلب رومل أن يستولى على شمال أفريقيا، إنني لم أنم منذ أسابيع، وماذا كنت سأفعل بدونك.

وتثاءب وارتكن في كرسيه إلى الوراء، وراح في النوم على الفور، ولم يوقظه من نومه سوى رنين التليفون الذي أمسك بسماعته على الفور، ليستمع إلى زوجته تسأله عما إذا كان سيحضر الليلة إلى البيت، وتبلغه أن واشنطن قد اتصلت به، ثم ألقى بسماعة التليفون، بعد أن أبلغها أنه لن يحضر، ثم تحدث مع فان الذي طلب منه أن يراه غدًا لأمر هام، ثم قام وذهب إلى الحمام ليضع رأسه تحت الماء حتى يفيق، ثم عاد إلى مكتبه وطلب جين وسألها:

– ألم تنامي بعد؟

– لا.. فأنا أتوقع أن تناديني.

– إنه يجب أن آخذ القطار التالي إلى واشنطن، وعليك أن تركبي الطائرة في الصباح وتقابليني في الفندق.

وبعد ساعة كان يستقل القطار إلى واشنطن، التي ما إن وصل إليها حتى ذهب لتوه إلى مكتب فان كبير مهندسي الحكومة، الذي كان ينتظره في مكتبه ورحب، به فان وعرض عليه تقريرًا من المخابرات العسكرية يقول إن هناك بعض الأشخاص ذوي الميول الهدامة.. يعملون في المشروع، وكثر الجدل بين بيرتون هول وفان، وأخيرًا.. حسم فان الموقف بقوله: – إن

رئيس الجمهورية قد اتخذ قرارًا بأن يوضع المشروع كله تحت إشراف رجال الجيش وإشراف الحكومة.

وحاول بيرتون هول أن يعترض على ذلك ولكن فان قال له:

– يجب أن ينفذ ذلك. ولا داعي للجدل وقد نوقش هذا القرار على المستويات الكبيرة، بعد أن قرره الرئيس.

وتلعثم بيرتون هول وهو يشعر باليأس وقال:

– إن هذا يتعارض مع تقاليدنا، والعلماء الذين يعملون معي ولن يعملوا في ظل هذا الإشراف، إنك لا تعرفهم مثلما أعرفهم، وأنا واحد منهم، ثم إن وظيفتنا هي الثورة على القواعد والروتين.

فقال فان مقاطعًا:

– هذه مشكلتك وليست مشكلتي، كما أني أريد منك أن تقابل الجنرال الذي يتولى هذا الموضوع، وسوف نذهب إليه في مكتبه.

وتبعه بيرتون هول إلى مبنى آخر، وإلى مكتب آخر، وخلف المكتب الكبير.. كان يجلس رجل ضخم في زيه العسكري، وقدم فان بيرتون هول بقوله:

– دكتور بيرتون هول أكبر علمائنا.

وقال الجنرال:

– إنني سعيد بمقابلتك يا دكتور هول.

ثم تركهما فان وحدهما وانصرف.

الفصل الثامن



وفي المساء وفي الفندق أخذ بيرتون هول يحكي لجين مقابلته مع الجنرال، وكيف إنه قد استقر الأمر عن أن يتولى العسكريون والحكومة الإشراف على الموضوع، وكيف إنهم – أي العلماء – قد أصبحوا مكلفين مثل الجنود تمامًا، كذلك سرد على مسمعها كيف إن الجنرال قد صمم على أن ينتج القنبلة على نطاق واسع، وكيف إن العلماء غير مسئولين عما تتطور إليه هذه الصناعة، وقد قال له بيرتون آنذاك:

– إننا نقبل مسئوليتك للمشروع، ولكننا لا نستطيع أن نتملص من مسئوليتنا عن إطلاق الطاقة الذرية، إنه يجب أن يكون لنا رأي في تطوير واستخدام ما اكتشفناه بأنفسنا، ولا يستطيع أحد أن يعفينا من ذلك.

وبعد أسابيع طلب الجنرال أن يقابل المسئولين في الجامعة والعلماء وعائلاتهم وكان يقول:

– إنني أريد أن أعرف الرجال الذين أعمل معهم، وأريد أن أعرف زوجاتهم على وجه الخصوص، فيمكنك أن تعرف الكثير عن الرجل.. إذا عرفت زوجته، وقد قص بيرتون هول على جين في مكتبه ما حدث أيضًا، في ذلك اليوم، وضحكت جين في رقة، ثم أخرجت خطابًا من حقيبتها وقالت:

– يهمك بالطبع أن تعرف أنني تلقيت اليوم خطابًا من الهند، من رجل أعرفه هنا يعمل بالكيمياء الحيوية، فقد كنا معًا في مدرسة واحدة عندما كنا أطفالًا، ولم أره منذ سنوات، وهو يقول لي في خطابه أنه تلقى تقريرًا من ألمانيا عن طريق اليابان.. يفيد بأن العلماء الألمان يقولون بأن العلماء الأمريكيين لا ينوون صنع القنبلة، وهم يعتقدون ذلك، لأن العلماء الأمريكيين في المؤتمر الدولي الأخير.. لم يتحدثوا عن النواحي العسكرية للانشطار النووي، وأعتقد أن هذا سيفرحك.

فقال لها:

– بالفعل لقد توقفنا من الحديث عن الانشطار النووي أو الكتابة عنه كما تعرفين، وقد كنت حريصًا على ذلك حتى في الندوة التي عقدتها حول الأشعة الكونية، فقد تحدثنا عن كل شيء مع العلماء الألمان فيما عدا الدفاع.

فقالت جين:

– إن هذا يختلف كثيرًا عن علمائنا الأمريكيين الذين عادوا من برلين هذا العام أتذكر.

فتنهد بيرتون وهو يقول:

– هل أذكر؟

– انشطار النظائر هو الطريق المباشر للقنابل الذرية!، ولكن كيف يقول فيرمي إنه يشك في أن الألمان يصنعون هذا السلاح الرهيب، هل

تعتقدين أنه على حق يا جين؟ مائة في المائة؟

فقالت:

– طبعًا على حق، إنني إذا شككت فيه فإنني أشك في نفسي وفيك أيضًا.

وهنا قطب ما بين حاجبيه وتظاهر بالغيرة العنيفة، فضحكت جين مرة أخرى، وأومض في عينيها بريق من الرقة والعذوبة. إن هناك شيئًا جميلًا في هذا الرجل الكبير، شيئًا مؤثرًا ربما كان يمكن أن تحب مثل هذا الرجل لو كان الحب ضروريًّا.

ولم يعد يستطيع بيرتون هول أن يتملص من الجنرال أو يهرب منه، بعد أن أصبح مشرفًا على المشروع. وكان هذا الجنرال لا يفتأ فيستدعيه ليصدر إليه الأوامر، ويلقي إليه بالتعليمات عما يجب أن يتم.

وما كاد يمضي يوم واحد على المقابلة الأخيرة بينهما.. حتى استدعاه ليأمره بمقابلة كريستوفر ستارلي، نائب المدير التنفيذي لشركة "كانادي فاريل"، التي ستتولى الإنتاج على نطاق واسع.

وقال ستارلي:

– يجب أن يعرف الجنرال وأنت أيضًا أن المشروع كبير. ويجب أن تصمم المصانع الكبيرة لذلك، وأن تتطور بأشياء جديدة لا نعرف عنها شيئًا حتى الآن، وإنني لأخشى أن تنتهي الحرب ونحن لم نعمل في المشروع.

ثم استدار ستارلي إلى الجنرال وقال:

– سوف نبدأ العمل في اللحظة التي يقدم لنا فيها العلماء الإنتاج.

فأعلن بيرتون:

– سوف يكون لديك في خلال ستة شهور.

وفي اليوم التالي، وكان يومًا من أيام نوفمبر، استمع ستيفن كوست إلى قصة هذه المقابلة تعاد على مسامعه، وأنصت في اهتمام إلى أن أعلن بيرتون هول عن قراره النهائي.

و بعد ذلك تحدث ستيفن وعيناه تنظران خارج المائدة.

– أعتقد أننا يمكن أن نحدث التفاعل المتسلسل هنا في شيكاغو.

– وما هو تحليلك لذلك؟

– باختصار، إن التحكم هو العامل المهم، كما تعرف. واحتمال التحكم يكمن في هذه النيوترونات القليلة المتأخرة في

عملية الانشطار، هذه النيوترونات التي لا تنقسم على الفور، ولكن تنقسم بعد عدة ثوان. وأنت تعرف ما يعنيه هذا، عندما تكون الظروف مناسبة لتفاعل متسلسل ثابت. وهناك فترة من الوقت في عملية الانشطار، وهذا يعطينا فرصة في التعديل. لقد فحصت تقديرات فيرمي مئات المرات. وسوف نعمل في ظروف تكاد تكون ثابتة، حتى إنه سيكون لدينا عدة دقائق قبل أن يضاعف التفاعل من قوته، وسيتيح لنا ذلك الوقت لكي نتحكم.

وفغر بيرتون هول فاه:

– ولكن شيكاغو في وسط مدينة كبيرة.

فقال ستيفن:

– لست أدري ماذا يمكن أن يحدث من خطأ، سوف نجعل التفاعل يمضي في بطء، لذلك لن تكون هناك فرصة لأن يخرج من تحت سيطرتنا.

وشعر بيرتون هول بالضيق والقلق، وأعرب عن رغبته في أن يذهب إلى العمدة أو إلى مدير الجامعة أو إلى أي شخص. ولكنهم جميعًا سيرفضون. فأي شخص عاقل سوف يرفض، لأنه لا يستطيع أن يتحمل المسئولية.

ولم يجب ستيفن. وجلس لا يتحرك، يداه في جيوبه. وكان يحملق عبر النافذة. وكان يشعر بصداع غامض، وبألم عميق. وتنهد بيرتون هول في يأس مباغت ثم قال:

– سوف أتحمل أنا هذه المسئولية؛ ليس هناك شخص آخر يتحملها. امض في طريقك يا ستيف.

وفتح الباب في هذه اللحظة، وظهرت جين إيرل على الباب. وأخذت تنقل بصرها بينهما، ولكن كلًا منهما لم ينظر إليها. فتراجعت وأغلقت الباب مرة أخرى.

نزع ستيفن الترمومتر من فمه، ونظر إليه وقال بامتعاض:

– مائة وثلاثة.

فقالت هيلين:

– إذن لا يجب أن تقوم من السرير.

– يجب أن أنهض.

– لا تستطيع.. وإذا سمعت كلمة أخرى فسوف أبعث إلى بيرتون هول لكي يحضر.

– إنه في نيو مكسيكو.

فقالت:

– هل هذا يهم؟

ثم اختفت بسرعة، ورقد هو في سريره مغيظًا، فمن كان يعتقد أنه بمجرد أن يطير بيرتون هول منذ ثلاثة أيام إلى مكان غير معروف في الصحراء.. أن يثور أربعة من زملائه العلماء، الذين كان يمكن أن يقسموا على مساعدته وتعضيده، على شيكاغو كمكان تجري فيه هذه التجربة الهائلة.

لقد قال له بيرتون هول وهو يتركه:

– إن الأمر كله في يدك يا ستيف.

إن الأمر كله في يده. وهو الآن راقد في سريره يعاني من الأنفلونزا. إن الاجتماع الذي سيقرر كل شيء.. كان يجب أن يكون في مكتبه بعد ساعة من الآن. ولم يجرؤ على أن يتحدى نفسه ويغادر الفراش. فمن المهم أن يكون في صحة جيدة.

وجاءت هيلين بطبق من الحساء، لم يكن لديه رغبة في تناوله. وتحدث مع الرفاق حتى يحضروا إليه. وبعد نصف ساعة.. كان أربعة من الرجال

يجلسون حول سريره، وكلهم علماء يجب أن يحترمهم بل وفي حاجة إليهم أيضًا، ومنطقهم يتعارض مع منطقه، ولكن هذا المنطلق يجب أن يحترم.

– إن المركز الرئيسي لهذا العمل في كولومبيا الآن.

– أوبرنستون.

– إذن ما معنى المجيء به هنا؟

– إن مسير العمل هنا بطيء جدًا يا ستيف. إنك لن تحصل على التفاعل المتسلسل هنا في شيكاغو.

فقال ستيفن:

– سوف يكون قد حدث في نهاية هذا العام.

– أراهن أنك لن تستطيع، أراهن بألف دولار.

– وأنا موافق أمام هؤلاء الشهود.

ثم وقف وقال:

- تعتقدون أيها الرفاق أنني لست جادًا. إنني جاد. وقد استمعت إلى منطقكم، فالمعمل والمكاتب هنا جيدة، وتذكروا أنني مسئول عن المشروع. إنه يجب أن يكون، حيث أستطيع أن أشرف عليه، ويمكن أن آتي بالعلماء هنا، ووزارة الدفاع قد جمعت كل الرجال الأكفاء على الساحل الشرقي، ولا أعرف من أين أجد رجالي هناك. ولا تنسوا أنه حيث يوجد رجال توجد عائلات، ويمكن أن نجد سكنًا هنا، والأهم من ذلك أننا لا نكون عرضة للقنابل مثل المرافئ الساحلية.

وكان الدم قد تدفق إلى مخه. فشعر بالحمى ترتفع، وجسده يزداد حرارة. فرقد على الوسائد.

– سوف أقرر، وهذا شيء نهائي. سوف نبقى في شيكاغو. هنا سنفعل كل شيء.

وساد الصمت، وفجأة تكلم أحد العلماء.

– ولكنك نسيت شيئًا هامًا.. وهو أن فيرمي في نيويورك، ونحن لا نستطيع أن نعمل بدون فيرمي، فقال ستيفن:

– سوف يأتي فيرمي إلى هنا.

وفتح عينيه الملتهبتين، وحملق فيهم متحديًا إياهم أن يجيبوا. ولكنهم لم يقولوا شيئًا. ثم ودعوه وانصرفوا. وعندما انصرفوا أمسك بسماعة التليفون، وطلب فيرمي مكالمة شخصية. وتحدث مع فيرمي. وبعد خمس عشرة دقيقة حصل على الوعد الذي يريده. ثم وجد هيلين وهي تمسك بطبق الحساء فأخذه منها وقال:

– سوف أشربه لقد كسبت هذه الجرب الخاصة.

أرخى بيرتون هول العنان لجواده، كان هواء الصحراء صافيًا وباردًا فقد كان الجو خريفًا وكانت الجبال تتراءى أمامه على بعد، وقال لجين:

– إنني آتي إلى هنا لأني أشعر أننا سوف نستخدم هذا المكان، وعلى الأخص هذه البقعة التي على مرمى البصر، وأنا لا أحب أن آخذك إلى هناك، لأني أخشى كلام الناس في هذه المنطقة، ولكنه مكان مثل القلعة،

وهو ملائم جدًا للتشطيبات النهائية، وباركييز لديه التصميم، أما ستيف فلديه المعدات، وعندما تتم هاتان العمليتان، وتجري التجربة الكبيرة تحت إشراف فيرمي، ونكون أنا وأنت هناك للتشطيبات، فحينئذ سنكون على استعداد لأن نمضي قدمًا، وسنصنع السلاح، فسألته جين:

– وبعد ذلك.

فقال في ابتهاج:

– حينئذ يا فتاتي الصغيرة سوف أذهب بعيدًا، فعندما تصنع القنبلة سوف أعتزل كل شيء أخشاه وأمقته، وسوف أفعل كل ما أحبه، وأفرح به وأرضاه، وسوف يشتمل هذا على كل شيء، وأكثر مما تعتقدين يا فتاتي الطويلة.

فابتسمت له. فهذه الشهور التي عملتها تحت إشرافه الرائع كادت أن تقربها من حبه، وهي تعرف ذلك تمامًا، ولم تحدث بينهما كلمة، ولكنهما اقتسما الشيء الكثير، وعندما نظرت إليه الآن.. عرفت أنه سيكون من المستحيل في يوم من الأيام أن تقاومه، ويجب أن تستعد لذلك اليوم وتلك الساعة، التي تنطلق فيها التوترات المتجمعة في عملهما المشترك، ويجب أن تكون على ثقة من نفسها، ثقة بأنها تعرف ما تريد، وفجأة سألها بيرتون هول:

– هل تحلمين؟

– أحلم؟

– نعم تحلمين...

– إنني لا أحلم أبدًا.

– ولكن عينيك عينا إنسانة حالمة.

– يحتمل أنها تحلم في النيوترونات.

– إنك لا تستطيعين أن تهربي مني بهذه الطريقة، فالنيوترونات هي السر يا فتاتي، وبدونها لا تستطيع أن نحول العناصر ونجعل من أحلام رجال الكيمياء حقيقة في النهاية، فليس هناك انفجار بدون نيوترونات. وضحكا معًا وقال:

– أستطيع أن أحبك أيتها المرأة، أعني أحبك حقًا، فأية متعة يمكن أن تعادل ما نستمتع به؟ فأنا أتحدث وأنت تفهمين، وأنت تتحدثين وأنا أفهم، وهذا يكفي أليس كذلك؟ ولكن النسوة يضيعن وقتهن في الأحمر والمساحيق، وكل هذا الكلام الفارغ، فعندما يجيب عقلك على عقلي في التو واللحظة.. فإنني أستطيع أيتها الأنثى الفريدة أن...

فقاطعته قائلة:

– انتظر، انتظر.

وتبادلا نظرة طويلة، واقترب بجواده من جوادها حتى تلامست ركبتاهما وقالت:

– لا يا بيرت لا أجرؤ.

– ولم لا.

– أنا لا أثق بنفسي.

– بالتأكيد فلست أنا الذي لا تثقين به.

وألقت إليه بنظرة قلقة، وهمزت جوادها حتي ركض يسبقه، وارتفع بينهما التراب الذي أثارته أقدام الجواد الراكض.

**

كان ستيفن كوست يرتعد في برد ديسمبر، وهو ينتظر الترام. كان اليوم الثاني من الشهر، ومع ذلك كان الجو باردًا مثل منتصف الشتاء تمامًا، وكانت حرارته قد انخفضت عشر درجات. وكان قد ترك السيارة لزوجته، فإن عليها أن تقوم بعدة زيارات للعائلات التي تحت رعايتها، وذلك منذ أن جاء العلماء بعائلاتهم إلى شيكاغو، كان هناك أطفال صغار يجب أن يؤخذوا إلى المستشفيات، كما كان يجب أن تقوم بشراء بعض الحاجيات للأمهات، اللاتي لديهن أطفال صغار. وكان الترام مزدحمًا. بل إن الأنباء من الخارج كانت سيئة، وأخيرًا استطاع أن يشق طريقه بصعوبة إلى إحدى المركبات في الترام، وحشر نفسه بين الناس، وكان مرهقًا من الأرق. لقد ترك التجربة منذ ساعتين، ليذهب إلى المنزل ليغتسل ويأكل وينام لمدة ثلاثة أرباع الساعة. بينما كانت هيلين تجلس بجوار التليفون، خشية أن تكون هناك مكالمة من أحد، وكان يجب أن يغتسل يومًا بأكمله حتى يزيل الجرافيت من فوق بشرته. وكانت أظافره سوداء مثل أظافر الذي يعمل في منجم للفحم. وسألته هيلين:

– لماذا تتسخ هكذا؟

فأجابها في جد وصرامة حتى أنها لم تعاود السؤال.

– أود أن أقول لك كل شيء.

وعاد ليرقب التجربة، وجاء عدد من العلماء. وعبر المكان رأى بيرتون هول ثم رأى جين. ولم يكن قد رآها منذ شهور. وأومأ لها أنها مع بيرتون هول كل يوم. وكيف يكون رجل عاطفي وحساس بالرغم من ذكائه معها كل يوم ولا يقع في حبها؟ وبما أنها ما تزال مع بيرتون هول فماذا يعني هذا سوى أنها استجابت له؟

واستدار بظهره إليهما، وحينئذ وجد بيرتون هول بجانبه، وكان مضطرًا لأن يصافح يده الممتدة إليه. وقال بيرتون هول:

– إنني لم أكن لأترك هذه الفرصة مهما كان الأمر يا ستيف.. فهذا أعظم يوم في تاريخ البشرية؟

فقال ستيفن في تشاؤم:

– يحتمل أن يحدث خطأ.

– إنني أراهن عليك وعلى فيرمي.

– شكرًا.. إن التجربة تنجح على الورق، ولكن من يعرف؟

وسار ستيفن، غير مستطيع أن يتحمل الحديث، وأخذ يتفحص بعض الأجهزة. لقد ازدادت سرعة عداد النيوترون بالأمس، واستيقظ فيرمي في الليل ليستمع إلى الأنباء. وأعد كل شيء لتجربة هذا الصباح.

ووقف فيرمي أمامهم الآن وقال:

– لقد وصلنا الآن إلى الهدف الذي نسعى إليه منذ فترة طويلة، لقد بدأ التفاعل المتسلسل. إننا نجري الآن أعظم تجربة. ويجب أن نعرف أنه لا يجب أن يبدأ التفاعل المتسلسل فحسب، بل يجب أن نعرف كيف نوقفه كذلك.

وبدأت التجربة وأخذ ستيفن يصدر أوامره إلى العاملين، ومرت دقائق، وصمتت القاعة الكبيرة فيما عدا دقات الآلات.. ودوران المحرك. ونظر إلى جين. كانت ترتكن إلى الحائط وكان وجهها أبيض وعيناها سوداوتين. ولم تنظر إليه، أما هو فقد أبعد نظره عنها.

وفجأة صاح فيرمي:

– ضعوا قضبان الأمان.. لقد تم التفاعل.. وأمكن إيقافه. وانتهى ما حدث.

وأخذ فيرمي يفكر في الخطوة التالية، أما بيرتون هول فقد ذهب إلى التليفون. وسمعه ستيفن يتحدث ويقول:

– لقد هبط هذا البحار الإيطالي في العالم الجديد.

وشعر ستيفن بأنه يريد أن يبكي. فالإعياء وعدم التشجيع والقلق الذي أصابه في الأسابيع الماضية.. ظهر فجأة مختلطًا بالارتياح والإباء وفرصة النجاح. كان حزينًا جدًا.. ويتمنى لو أنه فشل، فماذا سيفعل الرجال بنجاحه؟ وإلى أي مدى يعتبر مسئولًا عما قد يفعلونه؟

وكان الجنرال يتحدث مع فيرمي الآن عند الباب، لا شيء سوى الانتصار على هذا الوجه المتألق، وفجأة وجد يدًا تلمس كتفه.. كان "ستارلي"، رجل الصناعة الشاب الذي قابله اليوم فحسب، وكان وجهه الأنيق يتألق وهو يتحدث.

– إنني أهنئك يا كوست.

وشكره ستيفن، وشعر بالهدوء للحظة. وأخذا يتحدثان قليلًا ثم نظر ستيفن إلى الفرن وابتسم مرة أخرى، ثم سار في رشاقة مبتعدًا عن المكان. ولكنه توقف فجأة، وأخذ يحملق إلى الفرن، وسمع صوت جين بجانبه وقالت:

– لقد فعلتها يا ستيفن

ولم يدر رأسه وقال:

– أرجوك لا تهنئيني.. لا أستطيع أن أتحمل ذلك في هذه اللحظة.

ولم تجب، ولكنه شعر بيده في قبضة يديها الدافئتين، ونظر إليها مندهشًا، ووجد وجهها رقيقًا وناعمًا. ووقفا لحظة يدًا في يد، وفي هدوء سحبت يدها وتركته لتتبع بيرتون هول.

الكل غادر المكان وتركه وحده، فيما عدا هذا الفرن، حيث تحترق نيران أقوى مما يمكن أن يتصوره إنسان، ولكن الإنسان.. في جهل سعيد، لم يعرفها حتى اليوم. والآن، وقد عرفها لا يمكن أن يخلد للجهل مرة أخرى.

وفجأة نهض ستيفن، وهو لا يستطيع أن يتحمل هذه الوحدة، وأسرع إلى بيته وقال لزوجته:

– سوف أذهب لأنام.. لا توقظيني مهما يكن من أمر.

الفصل التاسع



في منطقة "تينيسي" ذات الجبال المنخفضة.. كان الربيع قد أشرق مرة أخرى. وفي الوادي الكبير كان ستيفن كوست ينصت إلى المقاول وهو يشرح له، وهو يفرد أمامه بعض الرسومات، كيف سينشئ هذه المدينة الجديدة، التي ستبدأ فيها الخطوة التالية.. وأخذ يحملق في المنطقة البيضاوية الشكل، حيث سيقام الجهاز الكبير الذي سيقوم بالعمل، وهو الانفصال المغناطيسي لنظائر اليورانيوم. في الأسبوع الماضي كان قد خطرت له فكرة عن المغناطيس. وكان النحاس هو المشكلة، وأخذ يفكر في هذه المشكلة، إن الحرب تستنفد الموارد القومية من النحاس، وهو يريد النحاس للمغناطيس، وبكميات كبيرة. ولكن لا يمكن ذلك. فأخذ يستعرض المعادن التي يمكن أن تتحول. إن الفضة يمكن أن تتحول، ولكن أين يمكن أن يجد ما يكفي من الفضة؟ وحينئذ تذكر الاحتياطي الكبير من الفضة في وزارة الخزانة الأمريكية، ولم لا تستخدم هذه الكميات يستعيرها ثم يردها دون أن تفقد شيئًا؟ ومضى بفكرته إلى الجنرال، ولم يستطع مقابلته، فتحدث مع مساعده الذي دهش لهدا الطلب. وعبث بالطلب إلى وزارة الخزانة .ووُفق عليه على شرط أن يعود هذا المعدن نفسه.. وجاءت هيلين من أعلى التل من الغابات، وفي يدها بعض الورود وقالت:

– أريد بيتي هنا، وسوف أحبه أكثر من شيكاغو، لقد كنت أريد دائمًا أن أعيش على تل بجوار نهر.

فقال المقاول وهو يشير إلى مكان على الرسم الذي أمامه: – سيكون هنا منزلك يا سيدتي.

وعلى طول الطريق، وهما عائدان إلى شيكاغو كانت تتحدث عن المنزل. وقالت:

– ليس هذا منزلنا الحقيقي يا ستيف، كما أنه ليس ذلك الذي ستشتريه لي في يوم من الأيام، ولكن يمكن أن يكون بيتًا مؤقتًا، وسوف أجعل منه شيئًا جميلًا.

ولم يتحدث معها عن مهمته، وعن الأسرار الكبيرة التي يعتبر مسئولًا عنها الآن. ومع ذلك كان يتوق لأن تقتسم معه بعض حياته، لقد حدثته جين ماذا يعني أن تكون هناك امرأة تستطيع أن تقتسم معه حياته العلمية الداخلية. وقال على الفور:

– إنني أريد المساعدة. إنك بتحويلك المنزل إلى شيء جميل، فإنك تحفزين الأخريات على أن يفعلن الشيء نفسه. فالرجال ليسوا أسعد أبدًا من زوجاتهم.. هل تعرفين ذلك يا هيلين؟ فامرأة ساخطة، يمكن أن تقضي على عمل أي رجل. لقد رأيت ذلك يحدث مرة ومرة في المعمل. ولا نستطيع أن يكون بيننا رجل يعوقه عن العمل متاعبه في البيت. ألا تسمعين النسوة وهن يعربن عن شكواهن من هذه البيوت الخشبية القبيحة؟ وأنهن بعيدات عن بيوتهن وكل ما اعتدن عليه؟ سوف تكون هذه

المهمة كبيرة بالنسبة لك ومهمة جدًا كذلك.

وفي شهر ديسمبر.. اعترف بأن هيلين ذات قيمة كبيرة له، وانتقلا إلى المنزل الخشبي الصغير، وفي شهور ما بين الربيع والشتاء انتهى بناء المصنع، وتم تشغيل المغناطيس الكبير، كذلك تم بناء المفاعل الجديد، وأخذ ستيفن يفكر فيما بينه وبين نفسه ويقول: إن هذا المبنى ليس جميلًا في شكله ولكنه جميل في علاقته، ففيه أمل المستقبل للإنسان، عندما تنتهي هذه الحرب اللعينة، وجاء الجنرال لزيارة المدينة الجديدة التي كان يتدفق إليها كل يوم وفير من الناس، حتى أصبحت في النهاية تضم خمسة وسبعين ألف نسمة، وشيدت مدارس أخرى، وبنيت الكنائس وبعض المستشفيات، ومسرح صغير وناد للموسيقى.

وفي هذه الأثناء.. لم تستطع جين أن تبقى في عملها أكثر من ذلك، وطلبت من بيرتون هول أن يعفيها من منصبها كمساعدة له، وكثيرًا ما ناقشها في هذا الموضوع واستعطفها، بل واتهمها بأنها تحب شخصًا آخر، ولكنها كانت تنكر ذلك كله وتقول:

– إنك عالم يا بيرت، ويجب أن تدرك أن العالم لا يكون سعيدًا إلا إذا كان في عمله هو.

فأجابها بغضب:

– ولكنك امرأة.

فصرخت في غضب:

– إنني عالمة قبل كل شيء، متى تعرفون ماذا نستطيع أن نفعل دون النظر إلى من تكون؟ يجب أن أذهب.

وإزاء تصميمها سألها:

– أين تريدين أن تذهبي؟

فأجابته:

– أريد أن أعمل في المشروع الجديد، فلدي أفكار جديدة عن البلوتونيوم.

فتركها وذهب إلى ستيفن كوست في معمله، ودار بينهما حديث عميق، فكل منهما لم يقابل الآخر منذ عدة شهور، وقضيا اليوم في التنقل من مبنى إلى مبنى، وانتهيا إلى مصنع الانتشار الغازي الجديد، وهو على بعد أميال من المدينة الجديدة، ثم استدار إلى مفاعل الجرافيت ووقفا أمامه طويلًا ينظران إليه في رهبة وحب، وكان هذا المفاعل يعمل منذ شهور على خير ما يرام، وقال ستيفن:

– عندما تنتهي هذه الحرب ستنتج نظائر البحث في كل مناحي الحياة البشرية، من علم الأحياء والطب والزراعة والصناعة، متى ستنتهي هذه الحرب يا بيرت؟

– بعد أن تنتهي مهمتنا بيوم واحد.

– ومتى هذا اليوم؟

– لم يحدد بعد، فالجنرال لا يتحدث عنه، وكل قرار يتخذه يقوم على

أساس الوقت، وإذا تأخر المشروع يومًا فإنه يرفض.

فقال ستيفن:

– لقد سمعت أننا كنا نستطيع أن ننجز هذا المشروع في وقت أسرع بدون رجال الجيش أو رجال الصناعة.

فقال بيرتون هول:

– أننا لا نستطيع أن نغير ذلك الآن.

وعاد الرجلان إلى المكتب وجلسا، وأغلق ستيفن الباب وسأل بيرتون هول:

– إلى أين ستذهب عندما تخرج من هنا؟

فأجابه بيرتون هول بقوله:

– سوف أعود إلى شيكاغو، فلدي مهمة يجب أن أنجزها مع مهندس شركة كانادي فاريل، إنهم رجال أكفاء، ولكنهم ليسوا علماء ويجب أن نعلمهم، هل تدرك ماذا نفعل؟ لقد فتحنا أبواب الكون ونحن ندفع الناس إلى عالم جديد يرهبهم، وسوف يباركوننا أو يلعنوننا، إن هذه الطاقة الذرية أقوى من الطاقة الكهربائية بملايين المرات، ماذا كان يمكن أن يقول أبي؟ كان سيقول إننا فتحنا أبواب السعير، وقد نكون فعلنا ذلك بالفعل.

فقال ستيفن:

– أرجوك لا تتكلم، لا يمكن أن تكون بهذه الطريقة.

وفي المساء.. رقد على سريره بلا نوم، وفجأة تذكر أنه لم ير جين، فهي لم تأت معه، ولكن ترى أين هي وماذا تفعل؟

وفي اليوم التالي طلب ستيفن كوست بيرتون هول ليطلب منه أن ينقله من المشروع، ووافق بيرتون هول وأبلغ ستيفن زوجته بأنهم سيغادرون هذه المدينة في اليوم التالي.

قال ستيفن لجين:

– هذا ما حدث لقد مضى أسبوع ولم يجدا فرصة للكلام إلا في هذا اليوم.

والآن وفي وقت متأخر بعد الظهر سارا في الطريق المؤدي إلى سلسلة الجبال، وصعدا الدرجات الصخرية ونظرًا إلى جين التي كانت تتبعه وقال:

– شيء جميل أن يكون مع الإنسان شخص يتحدث إليه ويعرف ما أتحدث به.

فقالت جين:

– إنني لسعيدة إذ رأيتك يا ستيفن.

فقال لها:

– لقد كنت مع بيرتون.

فقالت:

– بيرتون هول ليس أنت.

وجلس كل منهما بجانب الآخر، وتلامست أيديهما، فأثارت اللهيب وأحس برعشة الدماء في عروقه، كان يريد أن يتحدث، ولكن لم يكن يجرؤ فهو في حالة مفزعة، ولا يجب أن يخلط هذه العاطفة بالحب فهو يحب زوجته، وبصعوبة استطاع أن يسيطر على نفسه في الطريق وهو عائد إلى بيته في العربة مع جين، بل بكثير من الصعوبة، لأنه لمح فيها نفس الرغبة تجاهه وهذا دون أن يكون هناك حب بينهما، ثم استدار إليها وقال:

– جين أريدك أن تعرفي أنني لم أكن أعرف أنك هنا عندما طلبت من بيرت أن ينقلني إلى هذا المكان.

فسألته:

– ألم تكن تأتي لو عرفت ذلك؟

فأجابها بتردد:

– لا أعرف.. نعم كنت سآتي لأنني أريد أن أعمل في هذا السلاح.. إنني أشعر بأنني مضطر لأن أعمل فيه.

وتردد مرة أخرى حتى اضطرت هي أن تتكلم فقالت:

– واصل حديثك لا يجب أن تخاف مني، وأنا لن أخاف منك إننا علماء أولًا.

وبعد أن قالت ذلك مضت في طريقها أسفل الجبل.

وفي ذلك المساء.. وعلى مائدة الطعام إلى منزل يشبه المنزل الذي كان في تينيسي.. توقف ستيفن عن الطعام وقال لزوجته:

– أريدك أن تعرفي أنني لا أنوي أن أرى جين وحدها عندما أكون هنا.

فصاحت فيه:

– لم تخاف أن تراها وحدك لابد أنك تحبها؟

فقال وألم صادق ينبثق من عينيه السوداوين:

– إنني لا أحبها ولا أريد أن أحبها، ولا أريد أن أحب أحدًا سواك، فقامت ووضعت ذراعيها حول عنقه ومسحت بخدها حول شعره وهمست:

– إنك تقطع نياط قلبي يا ستيف.

الفصل العاشر



وجاء ربيع عام ١٩٤٥ واجتمع الجنرال وبيرتون هول و"ستارلي" ليتدارسوا الأمر وليعجلوا بالعمل، وانهمك ستيفن في عمله حتى يخرج هذا السلاح إلى الوجود وكانت زوجته في هذه الأثناء ـ وبسبب انشغاله عنها ـ تخرج كثيرًا إلى النزهة مع زوجات العلماء الآخرين، فالعلماء مشغولون في عملهم الرهيب، وفي يوم من الأيام جاءته مكتملة الزينة، وكان عاكفًا على معادلاته، فلم يأبه بها وسألته:

– هل تحبني هكذا؟

ولم يرفع بصره عن الورق الذي أمامه وقال:

– كيف حالك الآن؟

فقالت:

– هل تعتقد أن سؤالك هذا هو الرد؟ ألا ترى أن تغييرًا طرأ عليّ؟

فأخذ يتفحصها وقال:

– هناك تغير.. وأعتقد أن كلانا قد تغير. فكلانا مشغول، أنا بالمشروع الذي أعمل فيه وأنت بما تفعلينه بهذه العائلات، وإني لأعجب بك كثيرًا، فأنا أعرف أن الهدوء والطمأنينة التي يعمل فيها رجالي بسببك أنت.

– ولكن ماذا عن الحب بيني وبينك؟

– إن كل ما أفعله من أجلك وإذا لم يكن هذا حبًا.

ونظر إلى عينيها المستعطفتين إنها أجمل من أي وقت مضى، ثم قال لها بصوت عال:

– لسوف أكون مسرورًا جدًا عندما ينتهي هذا كله، فحينئذ سوف أبني لك المنزل.

فسألته:

– ومتى سينتهي؟

فأجابها بقوله:

– بعد شهور قليلة.

ثم عاد إلى مكتبه، لقد كان على حق عندما قال إن الأمر لن يستمر طويلًا، فقد بدأت المواد تأتي من تينيسي، ومن المنطقة الشمالية الغربية، وسوف يكون هناك ما يكفي قريبًا جدًا من أجل أول تجربة حقيقية، ثم أخد يفحص الأوراق التي أمامه للمشروعات والخطط والطرق المحتملة لصنع القنبلة، ثم انغمس في تفكير عميق، وأمسك بالقلم وأخذ يكتب مذكرة إلى رئيسه جاء فيها:

– إنني أرى أن المسالة لم تعد تتعلق بما إذا كان هذا السلاح سيعمل أم لا، ولكنها تتعلق بمدى فاعليته، وإن تكهناتي لتؤكد لي أنه في خلال أربعة شهور سنكون قد انتهينا من أسوأ سلاح وأفتك سلاح أوجده الإنسان، فهذا

السلاح يمكن أن يدمر مدينة بأكملها، وآمل ألا يحدث ذلك، ولكن الرئيس يجب أن يعرف كل شيء، ولديه فسحة من الوقت لكي يفكر فيه.

وفي صبيحة اليوم التالي.. فاجأته جين وهو يفحص مع أحد مهندسي الكهرباء الضوء المسلط خطأ على المفاعل، واستدار إليها وكانت تقف على عتبة الباب بمعطفها المعملي ويداها في جيبي المعطف وقالت:

– هل يمكن أن أراك على الفور؟

فأصدر إلى المهندس الكهربائي بعض التعليمات، ولحق بها وسارا معًا في الممر، عندما قالت جين:

– لقد اكتشفت احتمالًا رهيبًا أريدك أن تفحص معي الأرقام التي وصلت إليها.

- إنك صاحبة نظريات يا جين.

– قد أكون مخطئة.

وعندما دخل المعمل قدمت له ورقة، وبعد أن درس الأرقام لمدة خمس دقائق صرخ في فزع:

– ما هذا يا جين؟

– ماذا سنفعل؟

– إننا لا نستطيع أن نقرر أمرًا في هذا الاحتمال الرهيب.

– إذا كان هذا الاحتمال صحيحًا فقد نتوقف جميعًا.

- نعم.. ولكن من الذي سيقرر ذلك؟

– يجب أن نبلغ بيرتون هول.

– أتعرفين أين هو؟

– أعتقد أنه ما زال في فيرمونت.

وانتظر بينما كانت تطلب جميع الأماكن التي يحتمل أن يكون فيها بيرتون هول، وأخيراً رن جرس التليفون في منزل بيرتون هول، حيث ردت زوجته ثم راحت توقظه من النوم، وسحب نفسه في تثاقل حتى وصل إلى التليفون الذي كان في المطبخ، حيث كانت تعمل زوجته وسمع جين تقول:

– إن هناك شيئًا خطيرًا أعتقد أنا وستيف أنك يجب أن تعرفه.

– الآن؟

– نعم فسوف نستقل قطار المساء.

– سوف أقابلكما في المحطة. إن هناك قطارًا واحدًا في اليوم هنا.

ووضعت جين السماعة ثم نظرت إلى ساعتها وقالت:

– أمامنا أربعون دقيقة.

قال بيرتون هول:

– إني لا أستطيع أن أتحمل المسئولية وحدي، دعيني أطلع على هذه الأرقام بنفسي.

فأخرجت المذكرة من حقيبتها، وسلمتها إلى بيرتون هول وهي تقول:

– إنه مجرد احتمال بسيط كان يمكن أن أتحدث عنه، ولكنني مضطرة إلى ذلك، فالحرارة الشديدة نتيجة الانفجار يمكن أن تحرق الهيدروجين في المحيطات أو في الجو، حتى إن الأرض يمكن أن تتبخر.

وتصبب وجهه عرقًا، وأخرج منديلًا من جيبه وأخذ يمسح به العرق وفي ذلك الوقت كانت الطيور تغني في الغابة نغمات حلوة صافية، وكان الصبية يصطادون على ضفاف البحيرة، وكان اليوم مشرقًا وجميلًا، إن الدمار شيء مستحيل لا يمكن أن يصدقه، وانتفضت جين تقول:

– هكذا كان يجب علي أن أبلغك.

فقال بيرتون هول:

– وأنا لا أستطيع أن أتحمل المسئولية ويجب أن نقرر معًا ماذا يجب أن نفعله.

فقال ستيفن:

– ما رأيكم في أن نبلغ الجنرال؟

ولم يوافق بيرتون هول وقال:

– العلماء يا ستيف.

وأصر ستيفن على كلامه وقال:

– ولكن كيف.. ما هي الفرصة التي أمامنا، إن عليكم أن تحددوا الحد الذي لا نمضي بعده.

ولم يجب بيرتون هول. ثم قال بعد فترة صمت:

– إذا كانت هناك ثلاثة أعشار الفرصة في المليون، فسوف أبلغ العالم بذلك، وأوقف العمل كله. أما الآن فيجب أن نمضي في المهمة والآن سأوصلكما إلى المحطة.

وبعد ثلاثة شهور، وبينما العمل مستمر، سلم مائة من العلماء تقريرهم. أن هناك أقل من ثلاثة أعشار فرصة في المليون بأن الأرض يمكن أن تتبخر. وقرأ بيرتون هول التقرير وطلب ستيفن وجين.. وعندما حضرا قال لهما:

– انظرا إلى هذا التقرير.. ماذا نستطيع أن نفعل سوى أن نمضي في العمل.

فقال ستيفن:

– لا شيء.

ونظر بيرتون هول إلى جين وقال:

– هل توافقين؟

فهزت كتفيها.

- إن القاعدة خطأ. وإن كل شيء خطأ منذ البداية. إنه لم يكن يجب أن نفعل هذا لنفس السبب الذي نفعله من أجله.

وزمجر بيرتون هول:

- لا نستطيع أن نتوقف الآن.

ونظرت إلى كل من الرجلين وقالت:

– لم لا نستطيع أن نتوقف؟ كيف جئتم بنا إلى هذا المكان الرهيب؟

وبدأت تبكي وتقول:

– إن كلاكما طيب وخير، فكيف حدث هذا؟

وخرجت تجرى من الحجرة. ولم يتبعاها. وطوى بيرتون هول التقرير، ووضعه في درج المكتب، وأغلق عليه، وقال:

– سوف نعود إلى العمل يا ستيف.

وبعد شهر واحد وقعت الحادثة. كان من بين الذين يعملون مع ستيفن كوست، وكلهم من العلماء الشبان الذين لا يزيد سنهم عن الثلاثين واحد يدعى "ديك فيلدمان"، ذو استعداد تكنيكي رائع، وصاحب نظريات جريئة، ولكنه مهمل في التجارب. ومن بين الأفكار الرائعة التي يخرج بها نجد تسعة وتسعين لا فائدة منها، أما الفكرة الأخيرة فإنها تكون صائبة لا يمكن الاستغناء عنها. والآن استطاع أن يقوم بتجربة بسيطة وهامة في قياس التفاعل المتسلسل. وقد حذرت جين ستيفن مما يفعله "فيلدمان". لقد سألته في يوم من الأيام وهما يسيران في الممر:

– أعتقد أنك تعرف ما يفعله فيلدمان؟

– نعم أعرف.

– إذا لم تمنعه من الطريقة التي يصنعها بها فسوف يقتل نفسه، وأي

شخص آخر يتصادف أن يكون بالقرب منه.

فوعدها ستيفن بأن يتحدث معه في هذا الموضوع.

ومضى كل منهما في اتجاه مغاير للآخر، وماطل في تنفيذ وعده، وكان ينوي كل يوم أن يرسل في طلبه، ويذكره بأن العالم ليس له الحق في أن يجازف بحياته، ويعرض حياة الآخرين للخطر بسبب الإهمال في الطريقة. وبعد ذلك نسى وعده. ولكن حدث بعد فترة، وبينما كان ستيفن يجلس في اجتماع مع بعض العلماء ينتظر بيرتون هول، رن جرس التليفون على مكتبه. وأمسك بالسماعة، وهو ما يزال يقول موجهًا حديثه لهم:

– يجب أن نستعد لإجراء أول تجربة في خلال الأيام العشرة التالية.

وتوقف فجأة. كانت جين على الطرف الآخر. وكان قد أفتقدها منذ اليوم الذي قضياه عند البحيرة، وكان يتوقعها أن تأتي، ولكن لم يكن يسأل عنها عندما لا تأتي.

– ستيفن؟

– نعم.. ماذا تريدين؟

– لقد وقعت حادثة رهيبة.. ديك فيلدمان.

– ماذا جرى له؟

– لقد انزلقت يده وهو يوضح لأحد العلماء الشباب كيف يعمل في تجربته. فقد تماست مقذوفات اليورانيوم وحدث ماس رهيب.

– يا للسماء...!

– وشتت ديك المادة بيديه حتى ينقذ الرجلين الآخرين. وقد أصيب إصابة خطيرة. وقد أصيب آخر. أما الثالث فقد جرى هاربًا. وديك الآن في المستشفى. وسوف أبقى معه. وأريدك أن تعرف السبب في أنني لا أقابلك، وأين أنا من الآن وحتى النهاية.

– أتقصدين...

– ليست هناك فرصة أمام ديك.. فليس له عائلة.

ووضعت السماعة.. أما هو فتحول إلى الرجال الذين معه وقال:

– لقد وقعت حادثة ضحيتها فيلدمان. وإني مضطر للذهاب إلى المستشفى. إنها التجربة اللعينة التي يقوم بها. لقد وضع حاجزًا بين شقي النيوترون ولكن هذا الحاجز انزلق. وتركهم ستيفن، وكل منهم يتفوه بعبارة أملاها الموقف بعد هذه الحادثة، وأسرع إلى المستشفى، كان الجو هناك كثيفًا وصامتًا.. وأرشده رجل الاستقبال إلى الحجرة، فهرع إليها وفتح الباب، كانت جين هناك بجانب السرير الذي يرقد عليه "ديك فيلدمان"، وكان مبتهجًا ولكنه شاحب.

– تعال يا ستيف.

ولم تتكلم جين.. كانت تفحص تقريرًا من المعمل، ورفعت بصرها عندما دخل ستيفن، وأومأت دون أن تبتسم. وقال ستيفن:

– ماذا يفعلون لك هنا؟

وجذب كرسيًا صغيرًا واقترب من السرير.. فقال فيلدمان:

– كل شيء، إن يدي تؤلمانني. وهذا السبب في أنهم يلفونهما بالثلج.. لقد أمسكت المادة.. وكان يجب أن أمسكها.. كنت في عجلة. كان لدي موعد مع فتاتي.. كنا سنقوم بنزهة في إحدى القرى الهندية. فهي لم ترها. إن إجازتي تبدأ غدًا وكنت أوضح للزملاء...

وتوقف.. ليتنفس بصعوبة. وقالت جين:

– هل يزداد الألم سوءًا؟

فقال:

– في يدي.

وتطلع إليها وانفجر العرق من جبهته وهمس.

– أشعر بالألم.. أشعر بالألم الشديد.

وبحثت عن وعاء، ورفع نفسه فوق السرير، ثم تقيأ فيه..

وحملقت جين في ستيفن وقالت:

– نادي الممرضة.. ويجب أن أتحدث معك يا ستيف.. إننا نستطيع أن نعالج أشعة "جاما"، ولكن أشعة النيوترون...

ولم تكمل فقد عاود فيلدمان القيء وأسرع ينادي الممرضة.

وفي اليوم التالي.. خرجت جين مع ستيفن من حجرته، وسارا معًا في الممر. وقالت جين:

– إنه أهدأ الآن.

فسألها ستيفن:

– هل قال الطبيب شيئًا؟

– ما يزالون يجرون الاختبارات.. ويأخذون عينات من الدم بالطبع، كما يحقنونه بالبنسلين.. كذلك هناك عملية نقل دم.

– دم من؟

– دمي.. ولكن هذا لا يهم، كنت بالقرب منه، ولدى الدم المناسب.

فقال ستيفن في صرامة:

– لا تقدمي أكثر من ذلك.. إنك تزدادين نحافة.. لقد لاحظت ذلك.

- ولكني لم ألاحظ ذلك.. وسوف أقدم المزيد، إذا كان ذلك ضروريًا. إنه نمط غير عادي. ليس من السهل جدًا أن تجده.. ولكن قد لا يكون هناك وقت.

– تعنين.

– إنها مسألة أيام قليلة.. هذا هو كل ما في الأمر.. ثم إن واجهة جسمه تحترق. فالألم الذي في ذراعيه يزحف على بقية جسمه..

– ولكن ماذا حدث للآخرين؟

– إن الذي هرب لم يصب بشيء.. أما الآخر فسوف يفقد شعره.. في جانب من رأسه على أية حال، ولا يجب أن يحلق لمدة شهور قليلة،

ولكن الطب سوف ينقذه. وقد يصبح عقيمًا. أنا لا أعرف.

– هل لديه أطفال؟

– اثنان.. وهذا من حظه وحظ زوجته، ويجب أن أتذكر وأسأل عن أسنانه.

– أسنانه؟

– نعم... فقد تكون الثغرات بينها مليئة بالإشعاعات، التي يمكن أن تحرق اللثة.

– وماذا يمكن أن يفعله حينئذ؟

– يخلع أسنانه..

– كيف عرفت هذا كله؟

– لقد كنت أدرس أثر الإشعاعات على الفئران. إنني في رعب. والآن هل تعرف ماذا سيحدث لهذا المصاب فيلدمان؟

فسألها ستيفن بصوت منخفض:

– أليس هناك أمل بالنسبة له؟

– أي أمل؟ لسوف يتحلل.. وسوف يصاب بالغرغرينا.. كذلك سوف تمتصه الإشعاعات التي في جسده، وسوف ترتفع درجة حرارته، وسوف تقل كرات الدم البيضاء.. وأخيرًا سوف يخرج عن صوابه ويفقد عقله.

فتمتم ستيفن قائلًا:

– إنك تعرفين كل شيء.

فقالت:

– لن أتركه.. و أبقى معه حتى النهاية. فليس هناك آخر يفعل ذلك.

وتصافحا، ووضع يده على يدها وقال:

– كنت أتمنى أن أبقى معك يا جين. ولكنني لا أستطيع، لقد استعد الجميع للتجربة الكبيرة. إنها ساعة الصفر.. وإني مضطر لأن أذهب.

فقالت له:

– أعرف ذلك.

لم تقابلت عيونهما... وافترقا.

وفي الأيام التالية لم تكن تغادر حجرة المريض متبرعة إلا لتأكل أو تنام قليلًا حتى تستطيع أن تظل مستيقظة.. وعاشت ساعة بساعة مع الرجل الذي يموت. وكان الأطباء والممرضات يعتنون بالجسد المتحلل، وكان العلماء والمسئولون يروحون ويجيئون، ولكنه بعقله وروحه عاش وواجه الموت. وكثيرًا ما تحدث إليها.. عن النيران التي تشتعل في أحشائه وفي معدته، رغم الثلج الذي يلفه. وكان يسألها "حدثيني عن بيتك". "حدثيني عن والدتك".. وكانت تحدثه.. وكانت كلما أثارت شيئًا بكلامها ينساق في حديث قصير عن نفسه.. وسألته جين:

– أين ترعرعت؟

وقال لها:

– في ملجأ للأيتام.. ولم تكن الحالة سيئة كان هناك الكثير الذي نأكله.

– ولكن كيف أصبحت عالمًا؟

– كان هناك رجل غني في الكنيسة. وسمع عني.. ودفع عني "الدوطة" لتعليمي، ولكنه لم يحدثني أبدًا، فقط قدم النقود الخاصة بتعليمي. وبدلًا من الذهاب إلى الجيش بعثوا بي من الكلية إلى هنا.. كنا اثنين.. ولكن الزميل الآخر ذهب إلى مكان آخر. إنك أول فتاة أراها تعمل بالعلم. هل تعتقدين أنهم سوف يستخدمون القنبلة؟

– لا.. إنني على يقين أنهم لن يستخدموها.. إنني لا أستطيع أن أتحمل ذلك.

– أعتقد أنهم سيفعلون إذا أرادوا ذلك.. إن صدري يؤلمني بشكل فظيع.

وظلت بجانبه ليلًا ونهارًا حتى النهاية، عندما تشتت عقله في كل مكان، وفي اليوم السادس مات.. قبل الفجر، وكان الألم الغامض الذي شعرت به يكاد يقترب من الحب.

الفصل الحادي عشر



واقتربت ساعة الصفر.. وذهب ستيفن يقود موكبًا من العلماء وكبار الجيش إلى مكان التجربة. وأمسك أحد رجال الجيش الميكرفون، وأخذ يتكلم عن التجربة وعن قوة التفجير، وعن اقتراب ساعة الصفر ثم تطلع إلى بيرتون هول وسأله:

– هل هناك شيء آخر؟ إن الجنرال و"بوب" رئيس المشروع في المركز الجنوبي مع المساعدين.

وتردد بيرتون هول.. ثم أمسك بالميكروفون وقال:

– إن هناك صوتًا واحدًا أفتقده الليلة. وهو صوت رجل لم أره أبدًا إلا على شاشة التليفزيون. وأحب أن أقول إنني لم أنتخبه لأجعل منه رئيسًا. لقد كنت دائمًا أنتخب الرجل الخطأ. وأنتم تعرفون من أعني. لقد مات في أبريل الماضي، ولكني أشعر أنه هنا يطل علينا من مكان ما. لقد كانت لديه الشجاعة ليعطينا أمرًا بالمضي في العمل. وكذلك الجرأة على إنفاق المال، بليونان من الدولارات. وسوف تكون أكثر النفقات حكمة واقتصادية صرفت في تاريخ الجنس البشري. وقد تكون أكثر الخسارات خيالًا وغرابة. وإنني أتكهن بالنجاح.

وبعد قليل قال ستيفن:

– إننا على استعداد في الوقت المحدد.

وانتهت المسافة التي كانت قد هبت منذ قليل، ووقف بجوار "الإنتاج" الذي يحمل المستقبل داخل شكلها المعدني. ولم يعد يخاف، أو يشعر باليأس، فالظلمة تحيطه في الداخل والخارج، وفي هذه الظلمة رأى نقطة وجه جين. إنه لو عاش بعد هذا التفجير.. فسوف يعود إليها. وسيقول لها إنه يحبها. سوف يواجه حقيقة نفسه معها.

وفي الصمت الرهيب أمسك ستيفن بالميكروفون. كانت الساعة الخامسة وعشر دقائق. وخلف الميكروفون وقف جامدًا، حتى كاد يشعر أنه ميت، ولكنه تكلم، أعلن الوقت كل خمس دقائق ثم كل دقيقة، وعيناه على ساعته. وبدأت الدقيقة الأخيرة. وبدأ يعد بالثواني حتى وصل إلى الصفر.. واستدار بظهره في هذه اللحظة ليرى الجو ينفجر في ضوء يغشي الإبصار. وفجأة دوى انفجار هز الأرض، وشعر بأن أذنيه تصدعتا.. كما لو أن يدًا كبيرة ضربته، وسقط على الأرض. وظل فاقد الوعي لحظة ثم قاوم حتى نهض وعبر الحجرة، كان بيرتون هول يرتعد. وفي صمت تام حملقوا جميعًا في هذا الشكل الرهيب المتحرك الذي أطلقوا سراحه، ثم تكلم بيرتون هول:

– لقد ذهب البرج.

ثم نظر عبر التليسكوب..

– إنه لم يعد له وجود.

واختطف ستيفن التليسكوب وبحث في الصحراء على بعد عشرة

أميال. وصاح بيرتون:

– لقد فعلناها.. لقد فعلناها..

وألقى بذراعه حول كتفي ستيفن وبدأ يبكي ويضحك. ويقول:

– سماء جديدة ، وأرض جديدة.

فقال ستيفن:

– عصر جديد..

وكانت نتيجة هذا الانفجار الرهيب أن برد الهواء، وانتهت الأسابيع التي لا تطاق من الحرارة الشديدة وهبت رياح رطبة، وتسللت إلى النوافذ المفتوحة واستيقظت جين في سريرها، وأخذت تتذكر ذلك اليوم. فقد ذهبت إلى سريرها في وقت متأخر ليلة أمس وهي لا تستطيع أن تنام، كانت ليلة الصفر، وكان يجب أن تكون هناك مع ستيفن وبيرتون هول وبقية الرجال، وقال بيرتون هول:

– فرصة كبيرة ضاعت منها.

وأضاف:

– لست عالمة إذا ضاعت منك هذه اللحظة.

قال لها ذلك أول أمس، عندما كانا يقومان بقياس الحرارة المرتفعة للمفاعل الجديد، وفكرت لحظة قبل أن تقول:

– لا أستطيع أن أذهب ففي هذا اليوم ستشيع جنازة فيلدمان، وليس

هناك سواي، كذلك لست على يقين من إنني أريد أن أرى هذا العمل الكبير.

فقال لها:

– دعي الموتى يدفنون الموتى، إنك عالمة أولًا وأخيرًا، وقد كنت تقولين ذلك لي عندما كنت أحاول أن أكون دقيقًا معك.

ولم تجب جين، فمن ذا الذي يعرف من هي؟ إنها لا تعرف نفسها فهي في حالة اضطراب شديد، ولم تكن تتصور منذ سنوات أن فرحتها بالرياضيات سوف تؤدي بها إلى هذا المكان الذي يحيط به جبال انبثقت عن بركان قديم، ومن الغريب أن نقارن كارثة هذا الانفجار القديم، بما يفعله الإنسان في العصر الحديث.

وجلست في سريرها وهي تشعر بالقلق، يجب أن تكون هناك هذه اللحظة، فسوف يعرفون الآن ما إذا كانوا قد نجحوا في التجربة. وهذا سر بالطبع ولكن الأسرار لا تخفى عليها، وربما تكون العاصفة قد أجلت التجربة أو ربما تكون قد فشلت. وعلى الفور نهضت من سريرها واغتسلت ومشطت شعرها، ولفت نفسها كما هي عادتها عندما تكون وحدها – برداء هندي، فقد كانت ترتديه وهي طفلة، وما زالت هذه عادة عندها حتى أنها عندما ترتديه يخف التوتر في نفسها.

كان الصباح رائعًا بعد العاصفة، ووجدت نفسها تغني وسعيدة بالرغم من نفسها، فهل هناك دائمًا مستويان للحياة بالنسبة للمرأة؟ على أية حال هناك هذا المستوى الطيب الذي تعيش فيه، سوف تتناول فطورها في

الشرفة، ووضعت الغلاية على النار، وبدأت تعصر بعض ثمار البرتقال، وحينئذ سمعت صوت ستيفن على الباب، وقفت وهي لا تصدق نفسها، فكيف يجيء ستيفن في هذه الساعة من اليوم، وسمعته يناديها وأسرعت ففتحت الباب، وكان ستيفن يقف والتعب يبدو على وجهه وسألها:

– لم أنت هنا. لماذا تركت المعمل؟

فقالت في غضب:

– كيف يمكنك أن تفكر إنني أستطيع أن أترك هذا العمل ؟

– ولكنك تركته. لقد كنت هناك ولم أجدك.

– لقد تركت بيت النساء فقط، إذا كان هذا ما تعنيه، ولن أذهب إلى هناك بعد ذلك، وبعد جنازة فيلدمان سوف أكون وحدي، وقد استأجرت هذا المنزل منذ يومين.

فتمتم وهو يقول:

– يا إلهي، إنك في بيت جديد كما لو أن كل شيء قد رتبته الأقدار.

ثم جلس على كرسي المطبخ وأخذ يحملق فيها وسألته:

– ماذا تعني؟ وما هو هذا الشيء الذي رتبته الأقدار؟ هذا الذي جئت أحدثك عنه.

– هل تناولت فطورك؟

– لم أتناول طعامًا منذ يومين ألا تعرفين ما حدث؟

– لا.. فقد بعثت برسالة إلى المعمل بأني لن أحضر لمدة ثلاثة أيام.

– ألا تريدين أن تعرفي؟

– أريد أن أعرف شيئًا واحدًا فقط هل نجحت التجربة؟

– نجاحًا هائلًا.

– لا تزد الآن، اذهب واغتسل وسوف أصنع لك الفطور.

ونهض وهي تراقبه وهو يجر نفسه جرًا، فقد حدث شيء له، شيء أكثر من النجاح، كانت تتمنى لو فشلت التجربة، فقد كان يمكن أن يكون أمامهما فسحة من الوقت. لماذا؟ لا تدري. وبعد أن أعدت الطعام.. جاء ستيفن وهو يبدو نظيفًا وقالت:

- اجلس.. فقد جعت ولا تتحدث.

وتنهد ثم جلس، وصبت له كوبًا من عصير البرتقال، وجلست قبالته وسألها:

– ما هذا الذي ترتدينه؟

فأجابت وهي تضحك:

– إنه ساري هندي، وأنا أرتديه عندما أكون في المنزل.

فقال لها:

– إنني أحب هذا الساري عليك فهو يبدو مريحًا.

فوافقت على كلامه، ثم ساد الصمت بينهما للحظات، بينما كان

يأكل في نهم، وصبت القهوة ثم تنهد أخيرًا وارتكن إلى الوراء وقال:

– إنني أحتقر نفسي.

– إنني سعيدة جدًا.

وأزاح الأطباق والفنجان جانبًا وقال:

– والآن أتكلم..

فوضعت يديها على أذنيها وقالت:

– أرجوك لا تتكلم سوف أسمع هذا كله هناك فسوف تكتب تقريرًا، وسوف تنشر الصحف ذلك وتقول: "تجربة ناجحة في صحراء نيفادا" وقد تغير العالم.

– إن هذا الحديث لك.. والحق أن العالم قد تغير بالنسبة إلي على أية حال.

وأنزلت يديها.. وتقابلت عيونهما. وبحث ستيفن عن غليونه وأشعله وقال:

– لا تقاطعيني يا جين. وبعد أن أقول ما لدي.. يمكنك أن تقولي ما تشائين. وأرجوك أن تفهمي إن هذا ليس شيئًا مباغتًا. لقد وصلت إلى ذلك في لحظة، ولكنني أعددت لذلك كثيرًا.

وشعرت بالرهبة. ولم ينظر إليها. بل إنه تحول ببصره عنها، وحملق في البركة المستديرة، التي تلمع فيها أشعة الشمس، التي بدأت تزحف على السطح المنخفض للمنزل. وبعد برهة قال لها:

– إن كل شيء كنت أكتمه في نفسي، وأنكره عليها، وأرفضه طيلة هذه الشهور بل هذه السنين، منذ أن رأيتك لأول مرة، قد تفجر الآن. أنا لا أستطيع أن أوضح، ربما كان توتر العمل من بين الأسباب. فأنا لا أعرف.. ولكن أنا هنا الآن. وقد زال التوتر، وأعرف ما أريد. رفقة كاملة. إنني أريدك أنت.

وارتكنت برأسها على يديها، ومرفقاها على المائدة، ولم تستطع أن تجيب. وساد صمت عميق، قطعته أخيرًا وقالت وهي لا تتطلع إليه:

– إننا لسنا أطفالًا.

فوافق على قولها واستمرت تقول:

– وليس لي روابط.. ولكنك..

– ألا ترتبطين بدكتور بيرتون هول؟

– ليس بالطريقة التي تقصدها..

– إن لدي شعورًا بأنك تحبينه.. وربما يكون ما حدث لي قد حدث له.

– لا داعي للحديث عنه.

– كما تحبين.

– أما أنت فمرتبط، وأنا أحب هيلين،وهي تحبك. وأنا لا أنافس.. ولا يجب أن أنافس فأنا عالمة. ولست مجرد امرأة. إن لي شيئًا خاصًا بي... أما هي فليس لها أي شيء.

وقام.. وأخذ يذرع الشرفة جيئة وذهابًا.. ثم وقف بجانبها وقال:

– لم تفكرين فيها فقط؟ ولم لا تفكرين فيّ؟

– إن لك شيئًا خاصًا بك. فأنت عالم.

– لا تتفلسفي بربك.. في هذه اللحظة. جين قبليني .. قبليني.

وجذبها إليه فصرخت:

– ستيف!

ولكنها لم تكن لتقاوم. لقد مضت فترة طويلة منذ أن رغبت في أن تقبل رجلًا. كانت ذراعاه حولها، وكان فمها على فمه، في رقة في بادئ الأمر، وبعد ذلك بدفء، ثم بقوة مباغتة وعاطفة. وارتعشت وهي تستجيب له.. فمن المستحيل ألا تستجيب، إنها تريد أن تستجيب.. وأن تستطيع.. وانسحب أخيرًا وجذب رأسها إلى صدره وقربها منه، وخده على شعرها.

– الآن.. هل فهمت؟

فقالت:

– فهمت؟ نعم.

– إذن انتهى الأمر.. سوف أبلغ هيلين.

وابتعدت عنه وهي تقول:

– لا.. لا تقل.

– ولكن يجب أن أقول لها، فكيف أعيش في البيت ولا أقول لها.. إنني لا أستطيع أن أتظاهر.

– لا تقل لها شيئًا.. إن هذا شيء سريع جدًا.

وحاولت أن تبتسم، ولكن الدموع علقت برموشها وقالت:

– أمهلني بعض الوقت

ونظر إليها لبرهة:

- سوف أمهلك.. ولكن لن أتغير أبدًا.

واختطف الجاكتة من فوق الكرسي ومضى إلى خارج المنزل.

ووقفت تنظر إلى الحديقة وهي تتأوه وتقول:

– ماذا سأفعل.. ماذا سأفعل الآن؟

ثم جرت إلى حجرة النوم، وهي تفك الساري بينما تمضي، وارتدت ملابسها.. إلى العمل.. إلى العمل المبارك، حيث تفكر فقط في القوة الكونية، وليس في هذا الوميض الذي يتأجج في قلبها.

بينما كان بيرتون عائدًا إلى العمل.. شعر بندم غريب غير متوقع، فبعد النجاح الكبير للتجربة ودع زملاءه العلماء، وكان قد هنأ الجنرال ورفاقه.. وقال:

– أراكم في المعامل.. إن المهمة التالية تلح علينا.

وكان كل واحد يعرف ما هي المهمة التالية. لقد استسلمت ألمانيا

فجأة في شهر مايو، وبأسرع مما كان متوقعًا، وقبل ذلك بشهر مات الرئيس. وكان بيرتون هول في ذلك الوقت في القطار في طريق عودته من واشنطن، عندما انتشرت الأنباء في البلاد من مدينة صغيرة في جورجيا تقول إن رئيس الجمهورية الأمريكية قد مات. وأخد يتذكر ما كان يقوله للعلماء من أن واجبهم أن يواصلوا اكتشافاتهم، وأن يحولوا مجرى الحضارة، وكذلك فعل وزير الحرب الذي ناشد بيرتون هول، أن يمضي قدمًا هو وعلماؤه في هذا العمل. وقد وعدهم بيرتون هول بذلك. وهذا الوعد هو الذي يسدد إلى صدره مثل الخنجر. وقد حدد الجنرال استراتيجية استخدام القنبلة. وفي هذه اللحظة، ولأسباب لم يستطع أن يتبينها، شق طريقه عبر الصحراء والسهول وذهب إلى "أريزونا". وإلى معسكر معين بالذات حيث كان يسجن "ياسوا ماتسوجي". وراء الأسلاك الشائكة لأنه من الأعداء. لقد عاش عشرين عامًا في البلد الذي اختاره، يرسم صوره الغامضة الجميلة.. وتسللت هذه الأفكار جميعًا إلى ذهنه المتشعب المضطرب وهو يقود سيارته عبر الصحراء، ويتوقف متعبًا على بوابات معسكر أريزونا للأعداء الأجانب.

واستطاع بيرتون هول بعد حصوله على إذن.. أن يدخل المعسكر، وانتظر حتى جاء "ياسوا" كان يمد كلتا يديه وقال:

– دكتور هول أجئت لتراني هنا؟

– إنني أفكر فيك كثيرًا، كيف حالك؟

– تعال ادخل.

ودخل بيرتون هول، ولم تكن هناك أية صور ولكن كان هناك فوق رف صغير مجموعة من الأشكال المنحوتة، لم يستطع أن يتبينها بيرتون في أول الأمر، فسأل ياسوا قائلًا:

– ما هذه الأشياء؟

فضحك وقال:

– هذه أعمالي فالأيام طويلة هنا، ولا أستطيع أن أنام كثيرًا لذلك فإني أقوم ببعض الأعمال.

فقال بيرتون هول وهو يشعر بشيء من الخجل:

– ولكنها جميلة.

فقال ياسوا مبتهجًا:

– لست أنا الذي أعمل، فهناك كثيرون يعملون بعض الأشياء، فمن القبح أن نعيش هنا دون أن نفعل شيئًا. فالبعض ينبت بذور الورود والبعض الآخر ينبت بذور الخضروات، كلنا نعمل شيئًا فيما عدا الكسالى وهم قليلون، اجلس، إنني آسف ليس عندي شاي.

وجلس بيرتون هول وقبالته هذا الرجل الرقيق الذي عرفه سنين طويلة. ونظر إليه "ياسوا" دون ما حرج، ولم يتحرج. إن الحرج يقع على الجانب الآخر وقد جاء بيرتون إلى هنا ليقول لياسوا "يجب ألا تختلط الأمور بيننا، فأنت وأنا كما كنا دائمًا"، ولكنه لم يقل شيئًا، وجلس قرابة النصف ساعة دون أن يقول شيئًا بينما كان "ياسوا" يثرثر في تواد عن حياته،

ويتحدث في أمل عن اليوم الذي يستطيع أن يعود فيه إلى الرسم مرة أخرى، فقد كان سبب ألمه أنه لم يستطع أن يرسم، وأخيرًا صافح ياسوا وخرج.

وبعد يومين سأل بيرتون هول عن جين إيرل في مساكن العاملين في المشروع، واكتشف أنها لم تعد تعيش هناك، وأنها تأتي إلى العمل كل صباح، وطلبها في بيتها ودار بينهما هذا الحديث:

– ماذا تفعلين في الصحراء؟

– أعيش.

– هل تناسبك هذه الحياة؟

– إنني أريد بيتًا خاصاً بي.

– وهل أنت وحدك؟

– بالطبع وحدي.

– إذن سوف آتي لأراك. هل تعدين الطعام؟

– نعم أعد الطعام لي.

– اجعليه لاثنين.

ثم التقط قبعته وقال لسكرتيرته:

– قولي لزوجتي إنني ذاهب لتناول العشاء مع جين، ويمكن أن تلحق بي إذا رغبت.

وكان الحديث قد كثر في المعسكر حول جين إيرل وحياتها بمفردها.

وذهب بيرتون هول إليها، وتناول الطعام ودار بينهما حديث مرح وقالت جين:

– إن فيرمي يريدني أن أعود للعمل معه.

فسألها بيرتون هول:

– وهل ستذهبين؟

فقالت له:

– لا أعرف. إن هذا يعتمد على مدى أهميتي الآن بعد أن أنجز العمل.

فقال بيرتون:

– إن العمل لم ينجز، فالمسألة الآن كيف يستخدم هذا السلاح؟

– يستخدم، هل تفكرون في استخدامه؟

– إن الحرب يجب أن توقف أليس كذلك؟

– ولكن...

ولم تكمل، لقد قاطعها بيرتون هول وأمرها بالسكوت.. وأن تنصت له ثم أخذ يتكلم ويقول:

– سأوضح لك الموقف، لقد كان فيرمي على حق حين قال أن الألمان لم يصنعوا القنبلة، بلكانت لديهم فكرة عن الانشطار، ولكنهم لم يفكروا

أبدًا في البلوتونيوم، ومنذ ثلاث سنوات تخلوا عن فكرة اليورانيوم، ولكنهم كانوا يحلمون بالمفاعل وفي شهر يناير.. كانوا ما يزالون يحلمون بذلك ولكن هتلر أمرهم بأن يتخلوا عن كل شيء لا ينتج السلاح في خلال ستة شهور، ونقطة الضعف الوحيدة هي أن الألمان لم يسيروا في الطريق الذي سرنا فيه، إننا هنا عملنا جميعًا معًا واستطعنا أن نستغل عقول العلماء الأوروبيين، ونستخدم أفكارهم وننتج السلاح، ولكن ماذا سنفعل بالقنبلة هل نسقطها أو لا نسقطها، إنه يجب أن ننهي الحرب، فما هي الطريقة التي ننقذ بها معظم الأرواح، واليابان هي العدو الوحيد، ويجب أن تستسلم، فكيف نكسب بأقل قدر من الدمار، وقد تحدد تاريخ الغزو أول نوفمبر من هذا العام، عام ١٩٤٥، وسوف يهبط رجالنا في كيوشو جزيرة كيوشو الجميلة التي زرتها لمدة أيام قليلة، وهي مدينة ساحلية لا مثيل لها في العالم.

قالت جين وهي تخفي وجهها بين يديها:

– لا تفعلوا ذلك أرجوك يا بيرت.

وواصل بيرتون هول حديثه قائلًا:

– لقد قدر كل شيء، فإذا قمنا بالغزو فسوف يموت نصف مليون أمريكي ومليونين ونصف من اليابانيين، وهم لا يخشون الموت كما تعرفين، إننا يجب أن نرهبهم، وأن نظهر لهم مثل هذا السلاح الرهيب الجديد حتى يستسلموا.

فقالت جين في همس:

– لا أستطيع أن أسمع أكثر من ذلك.

ثم أضافت:

– إننا إذا استخدمنا القنبلة فسوف تكون بداية النهاية لنا جميعًا، كل شعوب الأرض.

وودعها وانصرف، ومضت هي إلى التليفون، وطلبت ستيفن وصرخت وهي تقول له:

– أين أنت؟ يجب أن أراك الآن.

ومن بعد لم تستطع أن تقدره سمعت صوته يقول:

– جين لا أستطيع أن أحضر فالجنرال منتظر.

فلم تجب ولم تستطع أن تتكلم وجاء صوت ستيفن يقول:

– جين هل تسمعينني، جين هل أنت هناك؟

ولكنها وضعت السماعة في هدوء وحملقت في الحجرة وقالت بصوت مرتفع:

– لا، يا ستيفن أنا لست هنا.

الفصل الثاني عشر



استطاع بيرتون هول بصعوبة أن يفيق من الغيبوبة التي داهمته، كان في سريره الكبير في منزله وقد تعجب، ما الذي أتى به إلى هنا، فهو يتذكر أنه كان في القطار، وكان نائمًا وسأل زوجته:

– كيف جئت إلى هنا؟

فهدأت منه ووضعت يدها على جبهته وقالت:

– لقد أرهبتني.

– ألم أنم هنا ليلة أمس؟

– إنك راقد في سريرك منذ أسبوع.

وأخذ بيرتون هول يتطلع إلى السقف، وهو لا يشعر بجانبه الأيمن. وأخذ يسأل نفسه أين كان.. فقد كان يتحدث مع جين وكانت مضطربة، وكان يتحدث معها عن القنبلة، والآن هو في سريره لابد أن شيئًا قد حدث له، وأخذ يتذكر ولكنه لم يستطع، وسأل زوجته ماذا حدث فقالت:

– عندما حملوك إلى هنا كنت أعتقد أنك قد مت، فقد كنت في القطار عندما جاءتك الأزمة.

– وماذا كنت أفعل في القطار؟

ثم ضحك وأخذ يشرب الحساء الذي جاءت به زوجته، إنه مريض والأزمة خطيرة، ويمكن أن يمكث في السرير شهرًا أو شهرين ، لذلك فهو لن يذهب إلى الجزيرة عندما تسقط عليها القنبلة ويمكن أن يحل ستيفن كوست محله.

في ذلك الوقت كان ستيفن كوست يقول:

– يمكنك أن تحصلي على إجازة بأجر. لقد انتهت مهمتك بالنسبة للقنبلة، والمسألة قد خرجت من أيدينا الآن.

كانت جين قد خرجت من العمل في صباح هذا اليوم من أيام يوليو، بعد أرق طويل، وبدأت تذكر في دهشة هل حدث فعلًا أن تناولت الفطور مع ستيفن؟ كان هذا الحدث كحلم غامض عبر مخيلتها، وربما كانت غلطتها أنها طلبت منه مهلة، ولكن الوقت قد مر.. خمسة أيام، وستة أيام، ولم يحاول أن يبحث عنها، ومرض بيرتون هول كارثة بالطبع، فإن ستيفن سوف يتولى كل شيء ولكن هل يحتاج هذا كله إلى أن يحدث هذا الصمت بينهما طيلة ستة أيام؟ وما لم تستطع أن تتحمل ذلك ذهبت إلى مكتبه هذا الصباح لتتبين الأمر. ولكنه يقترح عليها أن تحصل على إجازة، وتساءلت إلى أين سأذهب وماذا سأفعل وقالت لستيفن:

– كيف أستطيع أن أساعدك هذا هو ما أريد أن أفعله.

فقال:

– إنني لا أعرف، إنني مضطر لأن أتتبع ما يحدث، وسوف أذهب لأرى بيرتون هول غدًا، حتى أعرف منه كل شيء.

ولم تجد ما يدل على أن هناك معرفة بينهما، وشعرت جين بجرح عميق. إنه لا يفكر فيها. هو فقط يفكر فيما يفعله، وقالت في نفسها إنني أتصرف مثل أي امرأة، وأنا لست كأي امرأة، فأنا عالمة، ونهضت وهي تكبح جماح نفسها وقالت:

– يمكنك أن تبلغني إن كنت أستطيع أن أقدم أية خدمة، وفي هذه الأثناء لن أحصل على إجازة، سوف أعود إلى معملي كالمعتاد، وسوف أعكف على تجربة بعض النظائر، وغريب إذا لم نعد نعمل في مهمة الحرب.

فقال لها:

– إن المسألة الآن تتعلق بالإنتاج، فنحن نريد أن ننتج ثانية وثالثة.. إلخ.

وخرجت جين، وبعد ذلك طلب ستيفن كوست الجنرال وأعرب عن رغبته في أن يراه ومعه ثلاثة من العلماء، وتمت المقابلة، ودارت حول استخدام القنبلة وقال ستيفن للجنرال:

– إنني متألم لما سمعته من أننا ننوي إلقاء قنبلة على العدو.

فسأله الجنرال:

– إذن لماذا صنعناها ؟

– من أجل الدفاع لا من أجل أن نقتل آلاف الناس، وأرجوك أيها الجنرال أن تعرف ماذا سيكون وقع ذلك على الرأي العام في العالم، إذا أسقطنا القنبلة على بني البشر، سوف تكرهنا شعوب العالم وترتاب فينا وتخافنا.

ثم قال طومبسون:

– وقد يأتي وقت نريد فيه من أجل سلامتنا أن نمنع استخدام هذا السلاح باتفاقية دولية، فكيف سنبدو حينئذ إذا كنا أول من استخدمه؟

وقال بوب إيفز:

– إننا في موقف ضعيف الآن، بعد أن استسلم الألمان فسوف يقول الآسيويون إننا انتظرنا حتى خرج الألمان من الحرب، وأسقطنا القنبلة على الأجناس الأخرى.

فقال الجنرال مزمجرًا:

– لو اهتممت بما يقوله الناس لما فعلت شيئًا، قد كلفت بمهمة وأنا أقوم بهذه المهمة.

وانفض الاجتماع وعاد الجميع إلى مكتب ستيفن الذي قال:

– سوف نعرض الأمر على المسئولين في واشنطن.

وقال طومبسون:

– على وزير الحرب.

– أو على الأقل نصر على أن تستخدم على تجمعات القوات أو المنشآت الحربية.

وهنا قال ستيفن غاضبًا:

– سوف نصر على ألا تستخدم بالمرة.

وفي واشنطن تحدث إليهم جنرال مشهور وقال:

– إنكم جميعًا من المدنيين ولن أقنعكم بشيء، ففي الربيع الماضي كنت أعارض استخدام القنبلة، أما الآن فقد تغيرت نظرتي، ولا أعتقد حسب ما شاهدته في الشهور الأخيرة أن اليابانيين سوف يستسلمون نتيجة للهجمات الجوية التقليدية والعمليات البحرية العادية. ولذلك أرى أن الطريق الوحيد لإنقاذ الأرواح الأمريكية وأرواح اليابانيين كذلك هي أن ننهي الحرب بسرعة.

ومضى يقول:

– إننا إذا أسقطنا هذه القنبلة على مدينة فلن يقتل أكثر من عشرين ألفًا، ويمكن شفاء معظمهم.

وصمت الجميع برهة ثم بدأ الجنرال العجوز يقول:

– إننا يجب أن نستخدم القنبلة ونستخدمها بسرعة.

وقال زيجني:

– هذه جريمة دولية هل يمكن أن تقرئي ما كتبته؟

كان يتحدث إلى جين في بيتها في صبيحة يوم أحد، وكان قد تحدث من قبل في كل مكان في شيكاغو وفي نيويورك وفي "تينيسي" و في "واشنطن"، وبينما كان يتحدث إليها وضع أمامها ورقة كتب فيها نداء إلى الإنسانية، وأخذت جين تقرأ في صمت:

"إن البلد التي تضع سابقة باستخدام هذه القوى الجديدة لأغراض

الدمار.. يجب أن تتحمل مسئولية فتح الباب على عهد من الدمار على نطاق لا يمكن تصوره...".

وظلت تقرأ حتى نهاية النداء، وأخذت تقرأ قائمة الأسماء التي وقعت عليه، وكانوا جميعًا من أبرز العلماء، ولكنها لم تر اسم ستيفن وتساءلت:

– إنني لا أرى اسم ستيفن كوست.

فتأوه زيجني وشد شعره المجعد الطويل وقال:

– لقد ذهبت إليه كثيرًا وهو يقول إنه لا يستطيع أن يوقع على هذا النداء حتى يفكر في بديل لذلك، وسألته هل هناك بديل للموت؟ ولم يجب علي.

ولم تجب جين وجلس زيجني يراقبها في لهفة، ماذا ستفعل؟ عالمة شابة وامرأة ربما لا يكون توقيعها هامًا، ولكنها موضع احترام كبير وقال لها:

– لن أضغط عليك لتوقعي، اتركي الأمر لضميرك وقلبك.

فقالت جين في ثبات:

– سوف أوقع.

وأمسكت بالقلم الذي قدمه لها، وكتبت اسمها ونهض وهو يقول لها:

– شكرًا، أرجوك أن تتكلمي في كل مكان عن هذا الأمر. فوعدته بذلك ..

وذهبت تبحث عن ستيفن وقال لها:

– ادخلي إنني آسف لأنك انتظرت فترة طويلة، إنني على اتصالات مستمرة منذ أن عدت من واشنطن منذ ثمانية أيام.

وجلست في صمت في الكرسي المواجه له وأخذ يحملق فيها وقال:

– جين ألست مريضة؟

فأجابته بالنفي فقال:

– إنك شاحبة جدًا.

فقالت له:

– إنني أشعر بالغربة، وأحس كأنني غريبة هنا وأنت غريب عني.

فقال لها:

– أعرف ذلك، إننا في فترة غريبة تنتظر أشياء كثيرة.

فقالت بهدوء:

– لم أنتظر ولكني أريد أن أقول لك إنني وقعت على الاحتجاج الذي كتبه زيجني.

فرفع إليها حاجبيه السوداوين وقال:

– إني آسف إذ فعلت ذلك.

فقالت:

– أنت آسف؟ لم أكن أتصور أن أسمعك وأنت تقول إنك آسف، لأنني احتججت على إلقاء القنبلة.

– إن ما أعنيه هو لماذا لم تتحدثي معي في هذا الموضوع، إن هذا ما أعمل فيه الآن، فأنا أحصل على جميع الآراء من كل مكان ومن كل العلماء، وقد اقترع خمسة وثمانون في المائة على استخدامها وبدون تحذير.

– ولكن ماذا تقول الدول الأخرى عنا؟

– لقد استطلعت الآراء في كندا وبريطانيا وفرنسا، وأغلبيتها تؤيد استخدامها على الفرد والرئاسة في واشنطن توافق على ذلك بالإجماع.

فقالت وعيناها تحترقان كنجمتين سوداوتين:

– إذن فأنا سعيدة لأني وقعت على الاحتجاج، سعيدة ألف مرة، فهل كان يمكن أن أجادل على الموت بعد أن شاهدت فيلدمان يموت.

وهمست وهي تقول:

– ألم تحتج يا ستيفن؟

فتنهد وهو يقول:

– إنني لا أشترك في هذا فالأغلبية تقرر ذلك.

فصرخت:

– أين أنت؟ كنت أعتقد أنك إنسان، هل تترك الآخرين يقررون ذلك؟

فنظر إليها بعينين مجهدتين تحيط بهما ظلال سوداء:

– لقد اتخذت قراري.

فقالت في ازدراء:

– لقد قررت ألا تقرر حتى لا تكون مسئولًا، إنك لا تريد أن تكون مسئولًا، ولكني أريد أن أكون مسئولة عن النضال بكل قوتي وعقلي ضد هذا الشيء الذي سمعناه، لكم وددت أن تقطع يدي اليمنى قبل أن أساعد في صنعه، لو كنت تصورت أننا سوف نستخدمه، ماذا يقول عنا بقية العالم إذا استخدمنا هذه القنبلة، نحن أمريكيون، إنهم لن يغفروا لنا أبدًا، لقد أحبني الأطفال في الهند لأنني أمريكية، وعندما كنت فتاة كانت رفيقاتي في المدرسة يحببنني لأن بلادي كانت في يوم من الأيام مستعمرة، وقد ناضلنا من أجل أن نتحرر، إننا لو أسقطنا القنبلة يا ستيفن سوف نقضي على أنفسنا في كل مكان بالعالم، ولن يثق بنا الناس بعد ذلك.

ثم حول الحديث إلى ما عرضه عليها وقال:

– إنني أحبك يا جين.

فقالت:

– إنك لم تحبني أبدًا.

وتحولت عنه وغادرت المكان وتركته وحيدًا. وعندما تركته مضى في عمله الذي يجب أن يتم بسرعة. في ذلك الصباح جاءه مساعد الجنرال، وقال له إنهم في واشنطن يريدون أن يعرفوا رأي الناس فقال له:

– سوف أكتب لهم بذلك.

وبينما كان مساعد الجنرال ينتظر.. كتب ستيفن التقرير وسلمه له،

وبعد فترة قليلة عاد مساعد الجنرال ليقول له:

– إنهم في واشنطن يريدون أن يعرفوا رأيك..

فقال ستيفن في إعياء:

– رأيي، إنني أفكر في ذلك منذ أربع سنوات، فقد كان والدي رجل دين، ولم يكن يؤمن بالحرب.

فسأله الكولونيل مساعد الجنرال:

– هل توافق؟

فقال وهو يتردد:

– نعم.

وأخذ القلم وكتب:

– إنني مع الأغلبية.

ثم أضاف:

– بالرغم من إنني آسف لضرورة استخدامها، وأرجو ألا تستخدم أكثر من مرة واحدة.

ثم وقع باسمه.

ومرة أخرى جلس وحيدًا. وفي فزع أمسك بالتليفون، وطلب جين وأخذ جرس التليفون يدق ولم يجب أحد إذن، أين ذهبت؟ وماذا يفعل ليحل هذه المشكلة؟ وكيف يستطيع كل العلماء أن يلغوا ما فعله هؤلاء

العلماء والعسكريون ورجال السياسة الذين أصروا على صنع القنبلة وقرروا استخدامها؟ إنه يجب أن يذهب إلى واشنطن دون تأخير.

وبعد ساعة كان يلقي بأشياء في حقيبته، ويندفع ليحلق بالطائرة رغم كل الأوامر، وذلك لأن القطار سوف يكون بطيئًا جدًا، ونادته هيلين من المطبخ حيث كانت تعد له بعض الساندويتشات ليأخذها معه، ويأكلها حينما يريد.

– ستيف.. إن دكتور زيجني هنا.. إنه يقول إنه جاء ليراك.

– قولي له يصعد..

وفي لحظة كان زيجني هناك، وشعره يتطاير حول رأسه. وقال:

– لقد لحقت بك في الوقت المناسب. إنك ذاهب إلى واشنطن استمع لي.. إن هناك شيئًا يجب أن تعرفه أولًا.. إنني قادم لتوي من واشنطن.. ولقد اطلعت على صور للمدن اليابانية .. صور التقطتها الطائرات الاستطلاعية.. وليس يهم أن تعرف كيف رأيتها إن الدمار جحيم هناك، لقد قامت طائرتنا ب ٢٩ بحملات دمار تشبه نيران الجحيم. وتكاد بحرية اليابان أن تكون قد تحطمت. فلم تعد هناك سفن لكي تستخدم. فالحصار من البر والبحر. ويجب أن تستسلم. وسوف يطالب الشعب هناك بذلك. والحكام لا يستطيعون أن يسكتوهم، لذلك فليس هناك ضرورة لأن تقوم أمريكا بالغزو. ويجب ألا نستخدم القنبلة، قل هذا للرئيس. وقل له إن الوقت قد تأخر جدًا. إن اليابان سوف تستسلم، إنني أقسم بذلك. فاليابان في حالة خضوع الآن . إنهم شعب يعتز بنفسه

جدًا.. ولكن يجب ألا نذلهم، ويجب أن نغفر قليلًا، لنأمرهم بالاستسلام فقط، فإن هذا يبقى لهم بعض الكرامة. إنه لابد من استخدام القنبلة لإنهاء الحرب؟. لا.. لا.

وكان يستعطف في جد ورغبة أكيدة، وتصبب العرق من جبهته وقال:

– ستيفن "سوف أحاول.. سوف أحاول".

قال وزير الحرب:

– إن الرئيس يعرف كل ذلك.. وهو يبدو عليه التعب الشديد والحزن. كما أنه فقد الكثير من وزنه. وقد وعد زوجته بأنه ما أن تنتهي الحرب حتى يذهب إلى المستشفى، ليرى سبب الألم الذي يحس به في جانبه الأيمن، وسألته زوجته:

– إلى متى ستظل هذه الحرب؟ وأجابها:

– بضعة أيام أخرى يا سارة.

فتعجب ستيفن وقال:

– إذن فهو يعرف، وما يزال يصدر أوامره بإسقاط القنبلة.

"فتنهد الرجل العجوز وقال.. هذه هي الأوامر الآن. إننا لا نستطيع أن نتراجع. ولكن نستطيع فقط أن نخفف من الأمر".

– نخفف من الأمر؟ كيف نخفف من هذا الحريق الهائل؟

– سوف نحذرهم.. والرئيس يحبذ تحذيرهم.. وقد اضطررت لأن أقول له ذلك، فالاستسلام سوف يجعل الغزو شيئًا غير ضروري... والقنبلة أيضًا.

– هل يطالب باستسلام غير مشروط؟

– نعم.. ولن يتقبل شيئًا غير ذلك، ولا يعتقد أن الشعب الأمريكي سوف يقبل شيئًا غير ذلك. والحق أن لدينا معلومات من اليابان بأنهم لن يقبلوا الاستسلام غير المشروط.

– إذن فنحن نصر على إلقاء القنبلة؟

– نعم .. ولكن أحب أن أقول إن الشروط التي نقترحها مشرفة.. فسوف يحتفظون بسيادتهم.

– وإذا لم يقبلوا ذلك فما هو البديل.

فقال وزير الحرب:

– الدمار الشامل.

وسقط صمت الدمار بينهما، وقال ستيفن بعد برهة:

– إذن يجب أن نحذرهم.. ونحذرهم مرات كثيرة.

– نعم.. سوف تقوم طائراتنا بإلقاء بعض القنابل كتمهيد.

وبعد ذلك نعرض الاستسلام.

- إن الناس يجب أن تعرف.. فيمكننا أن نسقط ملايين المنشورات.

– ليس هناك وقت.

– يجب أن يكون هناك وقت.. سوف أقوم بذلك بنفسي..

ونظر وزير الحرب إلى ستيفن وقال:

– سوف أقدم المال اللازم.

– أشكرك.. والآن أرجوك أن تغفر لي خروجي بسرعة..

– اندفع.. أسرع.. افعل ما تستطيع.. ودعني أعرف كيف يمكن أن أساعدك؟

وقال ستيفن مرة أخرى.

– شكرًا... شكرًا..

الفصل الثالث عشر



وفي السادس والعشرين من شهر يوليه، أذيع طلب الاستسلام، ونشر في الصحف أيضًا. وانتظر ستيفن الرد من مكتب وزير الحرب.. وجاء الرد رسميًا وفاترًا: "إن الحكومة اليابانية لا تستطيع أن تستسلم إلى هذا العرض المشين". وأمر وزير الحرب بإلقاء المنشورات. وفي اليوم التالي سقطت المنشورات على مدن اليابان.. وقال ستيفن:

– هل يستطيعون القراءة.. فماذا يحدث لو أن الناس لا تستطيع القراءة؟

فقال وزير الحرب:

– إنهم يستطيعون القراءة.. فاليابان تتمتع بأكبر نسبة من التعليم في العالم.

وكانت المنشورات تحذر بإلقاء القنابل التقليدية أولًا..

وفي اليوم الثامن والعشرين دكت ست مدن بالقنابل..

ومع ذلك لم يصل إلى واشنطن أية كلمة.. وكان ستيفن يومًا بعد يوم، يعد الساعات.

وفي الخامس من أغسطس، لم يكن هناك أي رد.. فأمر وزير الحرب

بتوجيه تحذيرات خاصة، وإلقاء ملايين أخرى من المنشورات.

ومر اليوم ولم يأت أي رد. وفي منتصف الليل نظر الرجل العجوز المتعب إلى العالم الشاب. فلم يكن أي منهما قد غادر الحجرة طيلة ثمان وأربعين ساعة. وقال في هدوء:

– ستيفن.. لقد فعلنا كل ما نستطيع.. عد إلى معملك.

وفوق المدن اليابانية حلقت الطائرة مثل فراشة متفتحة.. كانت صبيحة يوم من أيام منتصف الصيف، وكان يوم العمل قد بدأ لتوه، والرجال يسيرون إلى مكاتبهم، والنسوة يركبون "الروكش" إلى السوق، والأطفال يستعدون للمسير إلى فصولهم، وسمع هؤلاء جميعًا صوت أجنحة فوقهم.. ورفعوا رؤوسهم ورأوا الطائرة في الجو.. طائرة واحدة.. واطمأنت نفوسهم.. فماذا يمكن أن تحدثه من خسائر؟ إن طائرات العدو تأتي بالمئات لتقوم بعملها.. وهذه طائرة واحدة.. وربما تكون طائرة استطلاع؟ وابتسم كل منهم للآخر في ارتياح، وذهب كل منهم في طريقه.

ودون أن يلاحظ أحد، سقط من الطائرة شيء فضي، وهبط الى أسفل شيء صغير في الجو مثل اللعبة، نقطة تلمع، قطعة من الشمس.. وكانت في الحقيقة قطعة من الشمس، كتلة كبيرة جدًا من النار، ذات حرارة في داخلها تصل إلى مائة مليون درجة فهرنهيتية، مضغوط كصندوق معدني صغير. وفجأة انفجر هذا الصندوق. وانزاح الهواء من حولها بفعل الضغط الهائل، ومن هذا الانفجار العنيف هبت رياح بسرعة مئات الأميال في الساعة، بل بسرعة ألف ميل في موجات كبيرة.. وأثار التفجير العنيف

القوي اللهيب في كل مكان يصل إليه من خشب وقماش، وأسطح من الطين، وأعمال الفن الكبيرة، والأجساد البشرية، والدم والعظام والمخ.. وبعد ذلك جاء دور الإشعاعات التي لا ترى.. فمن بين سكان المدينة وعددهم ثلاثمائة ألف نسمة مات الثلث في الحال، واحترق معظم الباقين، أو أصيبوا بالشلل والندوب التي تأجج نيرانًا في لحمهم.

ووجه أحد الصحفيين إلى الطيار الأمريكي الشاب الذي ألقى القنبلة هذا السؤال:

– كيف كان شعورك وأنت تلقي القنبلة؟

كان يومًا صافيًا، والسماء بلا سحب، وإشراقة الشمس رائعة، وكانت السفن على الشاطئ تنتظر أن تحمل القوات خمسين ألفًا منهم، إلى المعارك في الأدغال. وفي الساعة الثامنة والربع، لمس الزر، وأفرج عن القنبلة، هذا الصندوق الذي يحتوي على الموت والدمار، وبعد ذلك أسرع هو والطيار إلى طوكيو. وانفجرت النيران والدخان في المدينة. وتحت النيران والدخان والتراب اختفت المدينة.

ولكن في المدينة الميتة، كان هناك رجل حي يزحف خارج زنزانة. ووقف لمدة ثانية واحدة، ثم حملق فيما حوله. إنه في صحراء، صحراء داكنة من الموت والدمار، وأطلق صرخة عنيفة، وصيحة يأس، ورفع رأسه إلى السماء وصرخ:

– إن هذا فوق ما يتحمله البشر..

وسقط على الأرض صمت رهيب.. وكان أعمقه في تلك المدينة التي

أنشئت وأسست لتنتج القنبلة. والآن انتهى عملها. وقد أعلنت صحف الصباح، والمذيعون في الراديو، وأسلاك التلغراف والأسلاك تحت المحيطات، كل هذه قد أعلنت أن المهمة قد تحققت. ودمرت مدينة ثم أخرى، وانتشر الصمت الكبير في كل مكان من العالم.

وفي هذا الصباح.. وفي صمت.. وبناء على مصادفة غريبة من مصادفات الحياة، تلقت جين رسالة ظلت تنتظرها في مكتبها. وكانت قد ذهبت إلى المعمل هذا الصباح، لأنه لم يكن هناك شيء آخر تفعله، وفي هذا الصمت لم تتحدث إلى أحد، ولم يقترب أحد منها. وقد غادر ستيفن المكان منذ يومين دون أن يبلغها إلى أين سيذهب، وخمنت إنه لم يستطع أن يتحمل أن يوجد في هذا المكان بعد أن أسقطت القنبلة. وقد ذهبت هيلين معه، وهي لا تشعر بأية غيرة.. ولم تشعر بشيء.. واستقر الصمت في نفسها أيضًا.. لقد انتهى شيء ما.

وفي هذه اللحظة بين النهاية والبداية، يظهر خطاب.. لقد ظل بينها وبين "رامان" الاتصال الحدسي الذي تقبلاه على أنه علاقتهما التامة. وقد مضى عام كامل منذ أن كتب إليها. بل إنه لم يرد على خطابها الأخير الذي كتبته في نوبة ألم من العزلة بعد أن اعترف بحبه لها، وقراره بألا يسمح لها أن تعود إلى الهند أو إليه.. لقد كتب إليها منذ عام يقول: "لقد تخليت عن دمي الإنجليزي واخترت الهند. واختيار الهند معناه أن أعيش الحياة الهندية. إننا لا نطلق زوجاتنا نحن الهندوس. ولا كشمي بريئة. وهي زوجة طيبة. فهل أتخلى عنها وأطلقها لأنني أحبك؟ وهل أنا خليق بذلك؟".

كان خطاباً قاسيًا كتب برقة. وقد أجابت عليه بالحب والغضب. والآن، وبعد عام، عادت العاطفة القديمة التي كانت بينهما منذ أن كانت تلميذة، وهو أستاذها، بعد أن رأت خطه ومن بين أيام حياتها جميعًا كان ذلك هو اليوم التي شعرت أنها في حاجة ماسة لأن تستمع إليه.. وتكلم هو..

وذهبت إلى معملها، وأغلقت الباب. ولدقائق جلست وفي يدها الخطاب لم يفتح بعد، وأخيرًا فتحته، وفي الصمت الذي يطبق على العالم بدأت تقرأ..

"طفلتي الحبيبة..

سوف تتصورين أن هذا خطاب غريب تتسلمينه هذا اليوم.. إنني أكتبه إليك لأنك الأمريكي الوحيد الذي أعرفه. فهل لك صوت؟ بما إنك عالمة فلابد أنك على اتصال بالعلماء الآخرين، وربما تستطعين أن تستعيري أصواتهم.. والحقائق التي لدي تقول بأن العلماء الأمريكيين يعدون لسلاح جديد. وقد تسألينني كيف عرفت ذلك؟ إنني أعرف لأن هناك طالبين روسيين في الفصول التي أدرس لها، وقد بعثا إلي بذلك من موسكو، ولست أعرف لأي سبب. إن هنا في الهند أكثر من قليل من الطلبة الروس، وهم ليسوا شبابًا عاديين. فهم يعرفون أشياء كثيرة لا يعرفها الطلبة العاديون. فمثلًا يعرفون معلومات عن هذا السلاح الجديد. فكيف حصلوا عليها؟ لابد أنهم حصلوا عليها من الجواسيس. ولكن أية جواسيس؟ إنه ليس من اهتمامي أن أعرف هذه الأشياء. إن ما أهتم به

هو أنك كنت تصنعين سلاحًا جديدًا.. ولكن كيف تستطيعين يا طفلتي الصغيرة أن تصنعي سلاحًا؟ فإنني أعرفك رقيقة وذكية وحكيمة وجميلة كذلك. ومع ذلك فأنت تعملين بين الرجال. وإذا كان هناك سلاح جديد، فأرجوك ألا يستخدم.. فسوف يكون سلاحًا ضدكم وضد بلادكم.. ولن يغتفر لكم هذا السلاح الجديد. وأنا أعرف شيئًا عن هذا السلاح. ولقد أخبرني تلاميذي. وقد أبلغوا بعض الناس ذوي الأهمية، ذلك لأنهم يعرفون أنه بعد أن تنتهي الحرب، سوف تستقل الهند، وهم يأملون أن نتبع روسيا.

طفلتي..

إن قوة هذه الروسية الجديدة هي أنها تعرف ما تريد.. إنها تريد أن تغير نمط الحياة في كل بلد، وفي العالم كله، لذلك يجب أن تعملوا أيضًا في بلادكم.. أولًا.. يجب ألا تسمحوا باستخدام السلاح.. فسوف يقال إنكم أحجمتم عن استخدامه، بينما كانت ألمانيا في الحرب، ووفرتموه لتضربوا به اليابان. ولكن إذا استخدم، ولم تستطيعي منع ذلك، فحينئذ ناشدي حكومتك أن تبقي قواتكم في أوربا. لا تنسحبوا بسرعة. واتركوا أماكن خالية تحتلها الجيوش الروسية. كذلك أقول لكم، إن روسيا سوف تنضم مع الصين، أولًا مع شيانج كاي شيك، وبعد ذلك مع ماوتسي تونج. هل تعني هذه الأشياء شيئًا بالنسبة إليك يا طفلتي؟ إن لم تكن تعني شيئًا فادرسي كل ما يقال وما كتب عنها في الحال. إن عصرًا جديدًا يبدأ. وهو عصر جديد رهيب. فمن اللحظة التي تستخدم فيها الأسلحة، إذا استخدمت.. سيكون كل شيء قديمًا.. طفلتي.. عودي إلى الهند.. فهنا

ستكونين في أمان".

ونسيت على الفور كل تحذيراته، ولم تر إلا الدعوة بالعودة إلى الهند، وهناك ستكون في مأمن. وطافت بمخيلتها مراعي طفولتها وصباها، ووديان وسهول "المورا" خضراء ومثمرة، والجبال المتوجة بالثلوج، والناس الذين يحبون ويتعاطفون. وتاقت لأن تكون هناك آمنة كما قال رامان، وبالقرب منه إن لم يكن معه. يا للأسف. إنها لم تعد طفلة. فكيف تهرب مما وصلت إليه؟ فهي امرأة هنا أو في الهند. وتركت الخطاب يسقط من يديها وأحنت رأسها

على ذراعيها المطويتين على منضدة المعمل وأخذت تبكي.

وبعد قليل كانت تدق جرس منزل ستيفن كوست. وكانت زوجته وحدها بالداخل بعد أن تركها إثر مشاجرة أو نقاش، اشتد وتوتر حول ما سوف يفعله ستيفن بعد ذلك. وفتحت الباب لترى جين فقالت:

– لقد خرج ستيفن لتوه.

فقالت جين:

– لم آت لأراه.. لقد جئت لأراك.

– إذن ادخلي.

وقالت جين:

– لا أدري كيف أبدأ؟ وربما لا أعرف لم أتيت إلى هنا.. إنني أريد أن أرى امرأة أخرى، وأتحدث إلى امرأة.. وفكرت فيك. فأنا أعرف قليلًا من

النساء.. لقد جعلني عملي أعتزل الناس.

– إنني أحسدك.

– هل تعتقدين إنني أستحق هذا الحسد؟

فقالت هيلين وهي في حالة عصبية:

– لقد عشت وسط الرجال ونحن في المشروع.. وقد قالوا لك كل شيء.. أليس كذلك؟ ولقد عرفت أسرارهم.. نعم.. إنني أغار منك.. إنني أغار من حياتك.

واستمعت جين إلى هذه الثورة باهتمام مؤلم وقالت:

– لم أسمع امرأة تتحدث حقًا من قبل. إنني أعرف ما تعنين.. إنني لم أعش حياتك ولكنني أعرف.. وأنا حسدتك أيضًا كنت أريد أن أتزوج ويكون لي أطفال.

– لقد كنت أريد الأطفال أيضًا، و فجأة خشيت أن آتي بهم.. فهل آتي بهم هنا وأنا لا أعرف ما سيواجههم؟ هل تريدين أطفالًا؟

– إنني أحلم بهم.. ولكنهم ليسوا أكثر من حلم.. فلم أحب أي رجل الحب الكافي حتى أتخلى عن عملي.

وكانت رقة جين سببًا لأن تتشجع هيلين وتقول:

– لو أعتقد أن ستيفن سيكون سعيدًا مع.. معك – لقبلت ذلك – وربما لا يكون ذلك مرة واحدة.. ولكن على مهل..

– إنه حياتك كلها.. أليس كذلك؟

– أعتقد ذلك.. فأنا لا أعرف تمامًا.

فقالت جين في هدوء:

– ولكنه ليس حياتي كلها ، إنني أرى حياتي كلها مع رجل، ولكنها ستكون حياة نصنعها معًا، عالمان أحدهما رجل وآخر امرأة.. وسوف نجعل الحياة كاملة.. حياة البعد الرابع.

– إنني لا أفهم البعد الرابع، ولذلك لا أستطيع أن أعيشه. ثم تقابلت عيونهما، وصافحتها جين وهي تقول:

– إنني ذاهبة إلى الهند.

الفصل الرابع عشر



ونعود إلى بيرتون هول.. لقد استطاع أن يقف على قدميه مرة أخرى، ولكنه يستعين بعصا، وهو يسير.. وكان قلقًا.. يعي الجو الذي تغلف فيه زوجته نفسها، والذي لا يدركه تمامًا. ولم يحدثها عن القنبلة لأنه حقيقة لا يعرف اليوم أو الساعة أو المكان الذي أسقطت فيه. ولم يكن يريد أن يعرف. فلم يكن هذا من شأنه، ولذلك فإن أول شيء عرفه هو عندما رأى ذلك في الصحف أمس.. هيروشيما.. نجازاكي.. وانتهت الحرب.

وقال لزوجته:

– على أية حال.. لقد انتهت الحرب.

ولم تقل شيئًا، بالرغم من أنها بطبيعتها ثرثارة.. وأخذ يتناول فطوره في صمت، وهو يختلس إليها بين الحين والحين بعض النظرات. ثم لم يطق صبرًا فسألها:

– هل أنت مريضة؟

فقالت:

– إنني مريضة حتى إنني إذا خرجت من هذا المنزل فإنني لن أعود.

وأخذت تمسح عينيها. فرجع بكرسيه إلى الوراء وقال:

– قولي ما في نفسك.. أفرغي ما عندك؟

ولم تقل كل شيء.. ولم تفرغ ما عندها.. ولكنها أخذت تبكي حتى أنها كانت تبتلع بصعوبة، ثم انفجرت:

– إنه شيء قذر تفعلونه.. كان يجب ألا تفعلوا ذلك.. ماذا يحدث الآن؟ إنني لا أثق بك.

– إنصتي.. كان يمكن أن يموت مجموعة من الشباب الأمريكي.. تذكري ولديك.. أتريدين أن يكونا من الضحايا أتريدين أن يموتوا في الأدغال؟

– لقد قتلنا مائة ألف مرة واحدة.. فالصحف تقول ذلك.

– حينئذ كنت تريدين ولديك..

–لا أريد أحدًا.. وددت لو لم يكن لي أولاد.. إنه ليس من الصواب أن نأتي بأولاد في عالم كهذا.

وصاح كل منهما في الآخر، وأخذت مولي تولول.. وحاول أن يسكتها، ولكنها لم تسكت.. لم تعد هدهداته تؤثر فيها كما كان يحدث من قبل.. ثم قالت من بين الدموع:

– لقد استخدمتم القنبلة لأنها شيء صنعتموه، ولم تستطيعوا أن تتحملوا ألا تستخدموها، لذلك تعتبرون أنفسكم على صواب، وفي الحقيقة لستم على صواب.. أود أن أعرف رأي جين في هذا.. كما أريد أن أتحدث إليها.

– لن تستطيعي.. فقد استقالت.. وسوف تسافر إلى الهند.

الفصل الرابع عشر



وفي الهند استيقظ "رامان" مبكرًا كعادته.. وهو الآن يرش معمله ومنزله بمياه نهر "الجانج" المقدس.. كان الصباح باردًا ومشمسًا.. والبيت هادئًا فقد كبر أولاده.. وكان فخورًا بأولاده.. وفي ليلة أمس كان يجلس إلى جين.. ويوجه إليها الكثير من الأسئلة.. وعندما افترقا بالأمس لم يتصافحا.. ولكن كلًا منهما أدى لصاحبه تحية الاحترام، على عادة أهل الهند ومع ذلك لم ينم.. فقد استيقظت الحقيقية في نفسه، وهي أنه لم يحب أي امرأة كما أحب جين. وهو لا ينكر ذلك أو يجادل فيه.. فقد تعلم أن يعيش مع الحقيقة. وكان بعد ذلك يرى جين كثيرًا، واستطاع أن يقنعها بأن تعود إلى بلادها. وإلى مراكز العلم هناك.. وكانت ترجوه أن تبقى عامًا أو عامين، ولكنه كان يلح عليها بالعودة فهي لم تعد الطفلة الصغيرة.. وأخيرًا وافقت على رأيه وقالت:

– يجب أن أطيعك.. ولكنك ستبعث إلي بالخطابات.

فقال:

– إلى أن نموت. .

خرج ياسوا ماتسوجي من المعسكر.. وأصبح حرًا مرة أخرى.. وسافر إلى شيكاغو، حيث قرر أن يؤجر شقة صغيرة ويبدأ الرسم.. وحيث يجد

صديقه بيرتون هول.

وفي صبيحة يوم من أيام أكتوبر وجد "بيرتون هول" "ياسوا" على عتبة الباب.

– تعال.. تعال..

وجر الرجل الياباني النحيف إلى داخل المنزل، وأغلق الباب وبعد أن جلس "ياسوا" ساله بيرتون:

– سوف تبدأ الرسم حالًا بالطبع؟

– لا أعرف ماذا أفعل أولًا.. أحيانًا أريد أن أعود إلى اليابان بعض الوقت.. فإني أريد أن أرى كيف حال اليابان الآن.. وفي بعض الأحيان أريد أن أنغمس في الرسم..

فقال بيرتون هول:

– أتمنى ألا تذهب.

– لم لا أذهب؟

– لا أريد أن يتحطم قلبك..

- إذن لنذهب معًا..

– إنني لم أفكر في الذهاب إلى هناك. وقد تكون على حق. ولست أدري ماذا يقول ستيفن في ذلك. وربما يريد أن يأتي.

وذهب إلى التليفون وطلب ستيفن.. ولم يجده.. وبعد خمس عشرة

دقيقة.. سمع صوت ستيفن الذي اعتذر عن الذهاب، لانشغاله بعمله الجديد في شركة "كانادي فاريل" فقال بيرتون هول:

– سنذهب أنا وأنت معًا.. انتظر حتى أبلغ مولي بذلك.

ووافقت مولي قائلة:

– أعتقد أنك يجب أن تذهب، فيجب أن ترى ما فعلتموه.. ولا يجب أن تتهربوا من النتائج.. وإنني لسعيدة إذ إن ياسوا سوف يذهب معك، يجب أن تجعله يرتدي "سويتر" تحت معطفه يا "ياسوا".. فهو يبرد بسهولة الآن، وينسى كل شيء عندما يكون مهتمًا.

وأقلتهما الطائرة إلى اليابان.. وبعد مؤتمر صحفي دارت فيه مناقشات طويلة وأسئلة موجهة إلى بيرتون هول.. ذهب هو وياسوا إلى الجبل الذي يطل على نجازاكي وأخذا ينظران إلى الأطلال التي كانت في يوم من الأيام منزل "ياسوا" أو مدينته. وبكى عندما وصلا إلى حصباء ورماد ما كان في يوم من الأيام منزل "ياسوا" أو مدينته.. وبكى عندما وصلا إلى حصباء ورماد ما كان في يوم من الأيام منزل صباه.. وبكى بيرتون هول أيضاً فهو يرفض أن يصدق أنه كان يمكن أن يكون هناك بديل ذلك. ووقف الرجلان كل منهما في حالة تعب على جزء صخري من المنحدر المغطى بأشجار الصنوبر.. كانا في هيروشيما.. وعرفا كل ما يمكن أن يعرف.. ورأيا الناس الذين كتبت عنهم الصحف الريبورتاجات والتقارير. وقال بيرتون هول:

– هل تعتقد أن هذا سوف ينسى في يوم من الأيام؟

- لا أعتقد.. كيف تستطيع أن تنسى.. أو أنسى أنا؟ إننا نتذكر.. ولكننا لا نفكر إن علينا أن نعمل. أنا أرسم وأنت تعلم.ولا فائدة من البقاء هنا، إننا لا نستطيع أن نبني. فقد تقدمت بنا السن.. إن علينا أن نقوم بعملنا.. ولا يهم. أي شيء أكثر من ذلك؟

- أعتقد أنك على حق..

وانتهت رحلتهما وعادا إلى أمريكا. وأخذ بيرتون يحلم بفصل جريح.. ووجوه شابة تنظر إليه لتتعلم وتسمع، وشمس الصباح تشرق عبر النوافذ.

أما ستيفن فقد عمل -كما قلنا - في شركة كانادي فاريل، في وظيفة محترمة تدر عليه الكثير من المال، وتتيح له حرية البحث أكثر مما كان يتوقع. ولم يكن يفكر في أن ما يقوم به الآن له علاقة بما حدث. وكان يسمع عن جين من حين إلى آخر. كانت تعمل في علم الأحياء. وقد كتب لها أن هذا العلم هو العلم الذي سيكون له شأن كبير. فتحسين الحياة، وخلق حياة جديدة، هما المجال القادم للعمل. لقد مضوا شوطًا كبيرًا في الطبيعيات.. وعلى الرجال الذين يريدون السفر إلى الفضاء، ورجال الجيش هؤلاء جميعًا.. أن يحققوا النظريات الآن التي تتعلق بصنع الصواريخ.. وقد سمع وهو في واشنطن الشباب من العلماء يتحدثون بلغة جديدة خاصة بهم.. وقد قال الرئيس إن الله يعرف ماذا سيقولون عندما يعودون من الفضاء. إن السفر إلى الفضاء هو الحدث التالي.. وسوف تشغلنا عن التفكير في الحروب.. أقول هذا بمناسبة التفجير الكبير الذي فجرتموه في الصحراء.. لقد دفع بنا ألف عام إلى الأمام.

وقال ستيفن:

– لست أدري هل يستحق كل هذا.

وعاد إلى شيكاغو، وتحدث إلى بيرتون هول عما رأى.. وكان لتوه قد عاد من اليابان، ولكنه لم يتحدث كثيرًا عما رآه هناك.

وقال:

– ليس هناك فائدة من الكلام.. لقد أصبحنا "من القديم" يا ستيف. لقد عملنا أربع سنوات في المشروع.. ونجحنا.. وقد صنعنا القنبلة وانتهت الحرب، وهؤلاء العلماء الشباب الجدد لا يفكرون فينا، ولا يفكرون في القنبلة. لقد اكتشفنا النار المقدسة لهؤلاء، واستولوا عليها منا.. إنهم يركبون إلى الفضاء على أجنحة القوة.

ثم هرش رأسه وقال:

– إن هذا يجعلني أفكر في أبي.. وإني أتذكر ترتيلًا كان يردده عن سفر أيوب حيث سأله الله "هلا أمرت الصبح".. وإني أعتقد أن هؤلاء الشباب عندما يذهب أول واحد منهم إلى الفضاء، ويتجه إلى القمر عن طريق الطاقة التي اكتشفتها أنا وأنت والعلماء الآخرون، فسوف يعود إلينا هنا على هذه الأرض الصغيرة.

ويقول:

– نعم أيها الإنسان.. إنني آمر الصبح.

الفهرس